ماذا قدمنا لخدمة المخطوطات العربية

المحاضرون

سعادة الأستاذ الدكتور / عبدالستار عبدالحق الحلوجي - عضو هيئة التدريس بجامعة القاهرة

سعادة الأستاذ الدكتور / أيمن فؤاد السيد - عضو هيئة التدريس بجامعة القاهرة

سعادة الدكتور / فيصل عبد السلام الحفيان – رئيس تحرير مجلة معهد المخطوطات العربية

و يدير اللقاء سعادة الدكتور / عبدالرحمن بن عبدالله العبيد

الثلاثاء ٢٨ ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ١٩ ديسمبر ٢٠٠٦م

المكان : فرع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالمربع

الوقت : من الساعة ٦ - ٩ مساء

هذا النص هو تفريغ نصي للشريط المرئي لهذا اللقاء وجميع ما قيل ونوقش فيه ليس بالضرورة أن يعبر عن رأي مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض وإنما يعبر عن رأي أصحابة

رئيس الجلسة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين:

في البداية أحب أن أشكر مكتبة الملك عبدالعزيز العامة على رعايتها لهذا اللقاء الشهري، وهو أمر ليس غريبًا على ما تقوم به المكتبة من أنشطة متنوعة تنفع المثقفين والمتخصصين بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، ثم بعد ذلك أحب أن أشكر الإخوة الحاضرين على حضورهم، وتكلفهم الحضور لهذا اللقاء الذي نرجو أن يكون فيه الفائدة للجميع بإذن الله، بعد ذلك أشكر الإخوة المتحدثين وهم كل من أستاذنا الدكتور عبدالستار الحلوجي، والدكتور أيمن فؤاد السيد، والدكتور فيصل الحفيان، على تلبيتهم الدعوة للمشاركة في هذا اللقاء الذي نرجو أن يكون فيه نفع للجميع.

الحقيقة هذا اللقاء مقرر له أن يكون ما بين الساعة السادسة إلى الثامنة، وسيكون لكل متحدث من ١٠ إلى ١٥ دقيقة، ثم يترك بعد ذلك المجال للمناقشة والحوار والمداخلات من قبل الإخوة والأخوات جميعًا، ونحبذ أن يرسل الحاضرون طلبات مداخلاتهم الشفهية، حتى يكون هناك ترتيب لهذه الأوراق، حسب ورودها إلى اللقاء.

لعلي أبدأ بالتعريف بالمتحدثين: الدكتور عبدالستار الحلوجي، شخصية معروفة عند الجميع، لكن من باب التذكير للإخوة جميعًا، التخصص الدقيق للدكتور عبدالستار هو علم المخطوطات، ولعلي أمر على بعض الوظائف، وعضوية الجمعيات والمؤسسات التي يسهم فيها أستاذنا الدكتور عبدالستار: كان رئيسًا لقسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ووكيلاً لكلية الآداب بجامعة القاهرة ما بين عام ١٩٩٤م إلى ١٩٩٨م، ثم عميدًا لكلية الآداب بجامعة القاهرة، ما بين ١٩٩٨م إلى ٢٠٠٠م، ومقررًا للجنة

إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وله عضوية في كثير من اللجان في تخصص المكتبات والمعلومات كعضو هيئة تدريس في الجامعات المصرية، له مؤلفات عدة، لعلي أمر على أبرزها: من ذلك: المخطوط العربي، وهو من الكتب، التي تهم المتخصص وغير المتخصص، فمن مر على هذا التخصص يرى الفائدة الكبيرة لهذا الكتاب، وهو على ما أعرف رسالة الدكتوراه التي كانت للدكتور عبد الستار الحلوجي، وله من المؤلفات والمخطوطات في التاريخ العربي: لمحة من تاريخ الكتب والمكتبات، وله كتاب مهم في المراجع، مدخل لدراسة المراجع، وله قراءة في أوراق جامعية، إضافة إلى أنه أسهم في بعض الكتب المترجمة، من ذلك: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، والمخطوطات الإسلامية في العالم، وكتاب في العالم الإسلامي.

سيكون الحديث للدكتور عبدالستار الحلوجي حول الأهمية العلمية والتاريخية لهذه المخطوطات كمقدمة لهذا اللقاء، فليتفضل مشكورًا.

الأستاذ الدكتور عبدالستار الحلوجي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا أظن أن أحدًا من حضراتكم يجهل أهمية المخطوطات العربية والإسلامية، أو يشك حتى في هذه الأهمية، وأتصور أنني إذا أردت أن أتحدث عن هذه الأهمية في عشر دقائق أو ربع ساعة، فكل ما سأحاول أن أفعله، هو أن أجمع الخيوط المتفرقة التي تكون هذا النسيج وألخصها في نقاط محددة.

أبدأ بأولها وهو تاريخ المخطوط العربي، وأقصد بذلك أن أهمية المخطوطات العربية ترجع إلى أن هذه المخطوطات تضرب في أعماق التاريخ بجذور بعيدة؛ فتراثنا المخطوط يمتد على مدى خمسة عشر قرنًا من الزمان، لسبب بسيط جدًا، وهو أن اللغة العربية التي كان يتكلم بها العرب قبل الإسلام، هي اللغة نفسها التي نتكلم بها اليوم، وهذه الحقيقة التي نعرفها جميعًا هي التي أعطت للمخطوط العربي فترة طويلة جدًا، زاد منها تأخر دخول الطباعة عندنا، فالطباعة جاءت في أوروبا في منتصف القرن الخامس عشر تقريبًا، أما في الوطن العربي فعمرها لا يزد على قرنين من الزمان، ومعنى هذا أننا أمام فترة طويلة جدًا من لغة عربية واحدة، ومن تراث ضخم مكتوب بهذه اللغة.

بعض الناس يتصورون أن اللغة التي نتكلم بها تبعد كثيرًا أو قليلاً عن لغة العرب قديمًا، وأتصور أن هذا البعد، أو الصعوبة التي قد يستشعرها البعض، تأتي من أحد أمرين:

الأمر الأول: أن العرب في جاهليتهم أو في صدر الإسلام أو في العصور الأولى: العصر الأموي، والعصر العباسي، كما تعرفون لم يكن لهم تراث غير الشعر، وأي صعوبة نجدها في شعر الجاهليين حتى نرجعها إلى أحد أمرين: الأمر الأول أن هذه الأشعار فيها أماكن – تذكر أسماء أماكن كثيرة- هذه الأماكن إما أننا

نجهلها أو تغيرت أسماؤها وأضرب على ذلك مثالاً بسيطًا، كلنا نذكر مطلع معلقة امرئ القيس التي يقول فيها:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللـواء بين الدخـــول فحومـــل

سقط اللواء والدخول وحومل أسماء أماكن، ولو أنه قال بالعليا والمربع والملز، لسعدنا واستمتعنا وفهمناها بسهولة ويسر، ولكن لو أن أهل الرياض فهموها، فأهل صنعاء بالتأكيد لن يفهموها، لأنهم لا يعرفون هذه الأماكن.

مثال آخر: مواقيت الحج الآن أسماؤها في كتب الفقه غير الأسماء الحالية، إذن هناك أسماء أماكن هي التي تواجهنا وتشعرنا بصعوبة هذه اللغة، والصعوبة لا تأتي من اللغة، وإنما من أسماء الأماكن، إما لأنني لا أعرفها، أو أنها تغيرت، هذا هو الوجه الأول من وجوه الصعوبة. الوجه الثاني أن كل مؤلف له معجمه اللغوي، وأنتم تعرفون جميعًا أن في العصر الأموي كانوا يقولون، عندما حاولوا أن يعقدوا مقارنة بين الشاعرين: جرير والفرزدق، فكانوا يقولون: إن جريرًا يغرف من بحر، والفرزدق ينحت في صخر، يريدون أن يقولوا إن لغة جرير لغة سهلة، وأما لغة الفرزدق فلغة صعبة هذا حدث في العصور القديمة، في عصرنا الحاضر حينما نقرأ مؤلفات لواحد مثل طه حسين، فلا شك أننا سنجدها أسهل بكثير جدًا من كتابات معاصر له في الزمان ومجاور له في المكان مثل: العقاد، أو مصطفى صادق الرافعي، كل مؤلف له معجمه اللغوي، الذي يتعامل به، وبعض المؤلفين سواء كان قديمًا أم حديثًا له هذا المعجم، وهذا المعجم قد يكون صعبًا أو عثرًا، أو يكون يسيرًا، هذا السبب الثاني الذي يجعلنا نحس بغربة في بعض الأحيان عن هذا حينما نقرأ هذا التراث القديم.

فإذن أنا لدي أول سبب للأهمية: أن المدة الطويلة ١٥ قرنًا من التراث المخطوط، الشيء الآخر أن هذا عمق زماني، فهناك بعد آخر مكاني، التراث يمتد على مساحة واسعة جدًا من أرض الله الواسعة؛ لأنه كما تعرفون اللغة العربية، ارتبطت بالقرآن الكريم، وفي كل مكان بلغة دعوة الإسلام، دخلته هذه اللغة، والشيء الغريب أن معظم الشعوب التي دخلت في الإسلام تخلت طواعية عن لغاتها المحلية، حدث هذا في تركيا، وحدث في إيران، وحدث في أسبانيا، وحدث في مصر، وفي أماكن أخرى كثيرة، كلهم تخلوا عن لغتهم، وتكلموا العربية، وكتبوا بها، وأنتجوا تراثًا عربي اللغة، وإن كان أصحابه ليسوا من العرب، و كلكم تعرفون أن سيباويه أعظم علماء العربية لم يكن عربيًا بل كان فارسيًا، وأن البخاري وهو أعظم علماء الحديث، لم يكن عربيًا وإنما كان أزبكيًا، كلهم إلههم واحد، ونبيهم واحد، وقبلتهم واحدة، ولغة واحدة، وما خلفوه لنا هو ما نسميه جميعًا التراث العربي المخطوط.

النقطة الثالثة ، أو السبب الثالث : هناك عمق زماني ، وهناك اتساع مكاني ، وهناك بعد ثالث يمكن أن نسميه بعدًا نوعيًا ، فترة عصر المخطوطات العربية ، هي عصر ازدهار الحضارة العربية ، في وقت كانت أوروبا تتخبط فيه في جهالات القرون الوسطى ، كان العرب يحملون مشاعل الحضارة والتنوير ، ولا أستعمل التنوير بالمصطلح الحديث ، وإنما أستعمله بالمصطلح اللغوي البسيط ، بلا تعقيدات وبلا إيحاءات ثقافية أو سياسية ، فهؤلاء العرب في العصور الأولى هم الذين ترجموا تراث اليونان ، وأوروبا لم تعرف كتابات أرسطو وأفلاطون إلا عن طريق ترجمتها العربية ، ولم تعرف أصولها اليونانية إلا بعد ٣٠٠ سنة كاملة حينما سقطت القسطنطينية في القرن السادس عشر ، وبدؤوا يطّلعون على الأصول اليونانية ، قبل ذلك التراث اليوناني كله منقول إلى اللاتينية عن ترجمات عربية. فالعرب لم يتحرجوا من تقبل تراث اليونان ، حتى الفلسفة ، مع إن الفلسفة تحتوي على أشياء يمكن أن تمس العقيدة ولكنهم استطاعوا أن يستوعبوا هذا التراث ، وينتجوا لنا فلسفة يمكننا أن نسميها الفلسفة الإسلامية ، فهم درسوا الفلسفة ، ولكنهم كانوا يدرسونها تحت عباءة الدين ، حتى لا تفسد عليهم عقائدهم ، لأن مسألة العقيدة ليست مسألة قابلة للنقاش ، فالعرب – لم أقل هذا في العصور الوسطى – استطاعوا أن ينتجوا لنا تراثًا ضخمًا جدًا في جميع فروع المعرفة ، وبعض الناس يتصورون أن التراث العربي كله هو تراث لغوي أو تراث ديني ويهملون التراث العلمي ، مع إن تراثنا العلمي لا يقل إشراقًا عن هذا التراث ، وسأتحدث في دقائق عن لماذا الناس اهتموا بالتراث هذا ، المستشرقون قالوا ونحن مشينا وراءهم ، لدينا تراث في العلوم ، تراث جابر ابن حيان ، وهو مؤسس علم الكيمياء ، الخوارزمي ، مؤسس العلوم الرياضية ، ابن البيطار في الصيدلة ، ابن سينا في الطب ، المقدسي والاصطخري في الجغرافيا ، والطوسي وابن يونس المصري في الفلك ، في كل فروع المعرفة لم يتحرج العرب أن يدخلوا أي حقل من حقول المعرفة ، واستطاعوا أن يبدعوا فيه إبداعات هائلة ، جعلت أوروبا نفسها تنفتح على التراث العربي ، وتتعلم لغة العربي بصفتها لغة الحضارة في العصور الوسطى ، لم يكن في أوروبا لغة حضارة ، إنما كانت اللغة العربية هي لغة الحضارة ؛ لذلك أنشأت مدارس ترجمة ، وترجموا تراثنا العربي ، واطلعوا على أمهات كتب التراث ، والغريب مما ترجم هو الكتب العلمية وليست اللغوية والأدبية والدينية ، ترجموا كتب ابن سينا ، وترجموا كتبًا في الجغرافيا ، بصفة هذه الكتب كانت مؤلفات رائدة.

الحقيقة النقطة التي ذكرتها ، لماذا نحن نتصور أن التراث هو في اللغة والدين والتاريخ فقط ، هذا لكي نفهم الفكرة ، لابد أن نتذكر ما قاله ابن خلدون من أن العلوم العربية أو العلوم إطلاقًا ، تنقسم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية ، علوم نقلية علوم محلية يورثها الآباء للأبناء ، مثل اللغة ، والدين ، والتاريخ ، لابد كل أب يعلم ابنه ، أو كل مدرسة ، أو كل أمة تعلم أبناءها في جميع مراحل اللغة القومية أو اللغة الوطنية ، ولابد أن يتعلموا الدين ، هذه العلوم النقلية ، علوم لها وطن ، وقد وجدنا أن أكبر كمية من مخطوطات في هذه العلوم الدينية ، وعلوم الأدب ، وعلوم اللغة والدين والتاريخ ، طبعًا هذا وضع طبيعي ، ولكن عندما قالوا : إن التراث العربي

كله في هذه المجالات وليس لهم في المجالات الأخرى، السبب في هذا أن هذا التراث ليس فقط حجمه أكبر، إنما العرب كانوا في هذا التراث أصلاء، لم يسبقوا إليه، ولم يلحقوا فيه، العرب أدرى الناس بلغتهم وبأدبهم، والعرب أقدر الناس على فهم كتابهم، وعلى فهم حديث سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام. تراث العرب في هذا، كما قلت لم يسبقوا إليه ولم يلحقوا فيه، لذلك اعتبروا أو حاولوا أن يوهمونا أن العرب تراثهم في هذا فقط، بل لهم تراث في المجالات الأخرى، مع أن تراث العرب، في الطب وفي الرياضيات، وفي مختلف العلوم التطبيقية كما تسمى اليوم، يكفي أن أقول أن اسم الكيمياء Alchem، الجبر Algebra، هذه "الـ" التعريف العربية دخلت وكل الأجانب ينطقونها هكذا، حتى يقولونها خوارزمي Arithmetic من اسم الخوارزمي، هذا العالم الرياضي الكبير، هذا هو السبب الذي أدى إلى أن كثيرًا من الناس والمثقفين يتصورون أن تراثنا كله تراث أدبي وتراث لغوي وتراث ديني، وأهملنا نتيجة لهذا الكلام، أهملنا تراثنا العلمي، مع إن إحياء هذا التراث العلمي لا يقل أهمية عن دور إحياء التراث الديني والأدبي واللغوي؛ لأنه يصحح على الأقل المقولات الخاطئة الفاسدة المضللة التي تكتب في الكتب، وتنسب اختراعات كثيرة اخترعها العرب إلى غير العرب.

الوقت قد انتهى، فلا أجد كلامًا أختم به خيرًا من أن أشكركم جميعًا على حسن استماعكم، وأترك المجال للإخوة الأفاضل، وشكرًا جزيلاً لكم.

رئيس الجلسة:

نشكر الأستاذ الدكتور عبدالستار الحلوجي على هذه الكلمات المختصرة، الحقيقة أنا أعرف أن الذي في ذهن الدكتور عبدالستار أكبر من هذا بكثير في مجال الحديث حول المخطوطات العربية والإسلامية، من الناحيتين العلمية والتاريخية، لكنه ليس مجال الحديث، ومع هذا جعلت كمقدمة لهذا اللقاء الذي نرجو أن يكون فيه الفائدة بالذات في المداخلات والأسئلة.

ننتقل الآن إلى المتحدث الثاني، وهو الدكتور أيمن فؤاد السيد، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي وخبير المخطوطات، والتخصص الدقيق للدكتور أيمن فؤاد السيد، هو: تاريخ مصر واليمن، وله اهتمامات كبيرة بعلم المخطوطات، حصل على الدكتوراه من جامعة السربون من فرنسا (باريس) في التاريخ والحضارة الإسلامية، بعض الوظائف التي تقلدها الدكتور أيمن فؤاد السيد: عضو المجلس الأعلى للثقافة، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، أستاذ زائر ببعض الجامعات باليابان، وفي جامعة باريس، مدير دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة سابقًا. الدكتور أيمن فؤاد السيد له الكثير من المؤلفات لعلي أمر على بعضها، ومن أبرز تلك الكتب التي أتصور ألا تخلوا منها مكتبة، واستفاد منها الكثير من المهتمين بعلم المخطوطات، الكتاب الذي أصدره بعنوان الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات في مجلدين، وله كتاب آخر، المدخل إلى الكتاب المخطوط بالحرف العربي، له العديد من التحقيقات بالذات في كتب

التاريخ : تحقيق كتاب الأبصار في الممالك والأمصار ، لابن فضل الله العمري ، وله مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، وحضر كثيرًا من المؤتمرات والندوات في علم المخطوطات ، سواءً في داخل مصر ، أم خارجها ، أترك المجال للدكتور أيمن للحديث حول ماذا قدمت الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية لخدمة المخطوطات العربية والإسلامية؟ وماذا يمكن أن تقدم؟ مع عرض لما أمكن من مشروعات حالية سواءً في مصر أم خارج مصر ، فليتفضل مشكورًا.

الدكتور أيمن فؤاد السيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، شكرًا سيدي الرئيس ، الحقيقة إذا أردنا أن نتكلم عن الإسهامات التي قدمتها الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية في خدمة المخطوطات العربية والإسلامية حفظًا وإتاحة والخدمات التي تقدمها للمخطوطات ، أرى أن نقسم المجالات الأساسية للاهتمام بالمخطوطات العربية ، لأنه كما تعلمون ، وكما أشار الأستاذ الدكتور عبدالستار الحلوجي إلى أن المخطوطات تمثل الإنتاج الفكري والثقافي للأمة العربية الإسلامية على امتداد أربعة عشر قرنًا بالنظر إلى أن الكتاب ظل مستخدمًا في هذه المنطقة حتى بعد اختراع الطباعة ، فكان لابد في البداية من جمع هذه المخطوطات المتفرقة في خزائن الكتب في المدارس في الجوامع في المساجد في الزوايا وفي الماريستانات وفي غيرها من الأماكن التي يمكن أن تكون فيها المخطوطات ، ثم تخطيط هذه المخطوطات وفهرستها ، ثم حفظها في أماكن كالمكتبات العامة أو المكتبات المتخصصة ، مع توفير الجو الملائم لحفظ هذه المخطوطات ، ثم إتاحتها للباحثين وللبحث العلمي ، والعمل على ترميم هذه المخطوطات وصيانتها ، أيضًا في مرحلة متوسطة في منتصف القرن العشرين كان هناك تصوير المخطوطات ، سواءً على فوتوستات في أول الأمر ، ثم على الميكروفيلم ، ثم مؤخرًا على الأقراص المدمجة ، ثم تأتي بعد ذلك عملية بناء قواعد البيانات الخاصة بالمخطوطات اعتمادًا أولاً على الفهارس التفصيلية التي سبق وأن أعدها المتخصصون في هذه المكتبات التي حفظت بها المخطوطات ، ثم العمل على توحيد عناصر هذه القواعد ، بحيث أن يكون هناك اتفاق بين المكتبات المختلفة على المداخل وعلى الحقول التي يمكن أن تتضمنها أي استبيان أو استمارة خاصة بفهرسة المخطوطات حتى يمكن في النهاية أن نصل من خلال دمج هذه المعلومات بعضها مع بعض إلى ما يمكن أن نطلق عليه "الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط" ، وهذا لا يمكن أن يتم إلا من خلال عقد اجتماعات دورية بين مسؤولي هذه المكتبات ، قد يدعو إليه اليونسكو أو منظمتا الإلكسو أو الإسسكو ، لأنهم هم القادرون على تجميع الأفراد المختلفين من الدول المختلفة ووضع التصورات والحدود التي يمكن أن يتفق عليها ؛ لتضمينها الاستمارات التي من خلالها يتم إدخال بيانات المخطوطات لبناء القواعد الإلكترونية للمخطوطات.

الدور المهم للمؤسسات والجامعات لتغطية العناصر التي ذكرتها ، بدأت في البلاد التي تحتفظ في الأساس بمخطوطات موروثة عن أجيال سابقة ، وهذه الأماكن نستطيع أن نحددها في بلدان مثل : مصر ، والشام ،

والعراق، واليمن، والشمال الأفريقي، فهذه المناطق هي التي ورثت التراث العربي الإسلامي في المنطقة العربية — فأنا أتحدث عن المنطقة العربية- لأنها كانت المراكز الحضارية، وكانت فيها عواصم الخلافات الإسلامية المختلفة، في دمشق وفي بغداد وفي القاهرة، وفي قرطبة وفي غيرها، بالإضافة إلى العواصم الأخرى التي شهدت دولاً إسلامية كان لها إسهام في خدمة التراث العربي، وأيضًا نستطيع أن نميز بين دول طالبة للمخطوطات، تجمع المخطوطات المتوافرة في سوق الكتب، من خلال الدمج بين هذين العنصرين، عنصر الدول المالكة للمخطوطات والمنتجة للمخطوطات، وتوحيد القواعد التي يتم من خلالها بناء قواعد البيانات، فهناك مؤسسات تستطيع أن تقوم بهذا الدور، تتمثل هذه المؤسسات في الوقت الراهن في عدد منها يأتي على رأسها المؤسسات التي ترعاها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويمثلها دون شك معهد المخطوطات العربية، وهذا المعهد التي يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٩٤٦م، وكان الهدف منه هو جمع وتوفير صور ميكروفيلمية لأهم المخطوطات الموجودة في المكتبات العالمية، وعلى هذا الأساس قامت بإرسال العديد من البعثات التي قامت بهذا الاختيار، وقامت بالتصوير، ووفرت هذه الكتب المصورة في مقر المعهد، بالإضافة أيضًا إلى بعثات أرسلت إلى العديد من المكتبات العربية، سواء من مكتبات وخزائن عامة، أو من مجموعات متخصصة، طبعًا يأتي إلى جانب ذلك الدور الذي تقوم به المكتبات الوطنية، ولعل كما تعلمون أن أقدم المكتبات الوطنية الموجودة في العالم العربي، هي الكتبخانة الخديوية التي أصبح يطلق عليها فيما بعد دار الكتب المصرية، وهي التي كونت أول رصيد للمخطوطات من خلال ما تبقى من رصيد مخطوطات في المساجد والجوامع والزوايا في مصر، وكان الهدف منه إنشاء مكتبة وطنية على النمط الأوروبي، كما شاهده علي باشا مبارك، صاحب فكرة إنشاء الكتبخانة الخديوية في مصر، ثم تتابع إنشاء المكتبات الوطنية، مثل: المكتبة الظاهرية في دمشق، والمكتبة الوطنية في تونس، وبعض الخزانات القديمة؛ مثل: خزانة القرويين في فاس، والخزانة العامة في الرباط، والمتحف العراقي في العراق، وهكذا، ودار المخطوطات في صنعاء، على سبيل المثال، هذه المراكز كان لها دور مهم في فهرسة وتصنيف والتعريف بالمخطوطات التي تبقت في المنطقة العربية، طبعًا هذا بالإضافة إلى المخطوطات التي خرجت في فترات سابقة، وعلى مراحل زمنية متباعدة، واستقرت في مكتبات أوروبا، وفي الوقت نفسه في مكتبات تركيا وإستانبول والأناضول، وهذه المجموعات جرت عليها دراسات، وقام متخصصون بالتعريف بها، وفهرستها وأيضًا صيانتها، هذا من جانب المؤسسات الرسمية، هناك أيضًا مؤسسات خاصة، لها دور مهم، وقامت بالفعل بدور رئيس من أهمها مؤسسة الفرقان الإسلامي في لندن التي افتتحها في نهاية الثمانينيات الشيخ أحمد زكي يماني، الحقيقة أن الجهد الذي قامت به هذه المؤسسة جهد غير منكور، ويأتي على رأسه survey أو الفهرس الشامل للمخطوطات الإسلامية في العالم وهذا عمل في الحقيقة قامت به المؤسسة بتكليف عدد من المسؤولين عن دور الكتب أو العارفين بأماكن

المخطوطات في مختلف بلاد العالم، وقدموا دراسات مفصلة مستقلة حول أماكن هذه المخطوطات والمكتبات العامة أو الخاصة المحفوظة بها وعدد هذه المخطوطات وأهم الفهارس التي صدرت في هذه المخطوطات، أو الفهارس التي قامت بالتعريف ببعض مخطوطات هذه الدول، ظهر هذا الكتاب في أول الأمر في أربعة مجلدات باللغة الإنجليزية بإشراف جفري لوبر، ثم قام الأستاذ الدكتور عبدالستار الحلوجي بنقله إلى العربية بين سنتي ١٩٩٦م و ٢٠٠٢م، بالإضافة إلى ذلك قامت بدور مهم في فهرسة المخطوطات وتصنيفها في الأماكن التي لا يصل إليها أو التي لم يضبط التعامل معها خصوصًا في أفريقيا جنوب الصحراء، وفي مناطق البلقان وفي بعض المناطق الأخرى في اليمن على سبيل المثال التي لم تعرف بمخطوطاتها أو التي من الصعوبة التي يصل إليها شخص للتعريف بها، فكانت تعد بطاقة أو استمارة تحدد فيها العناصر الرئيسة التي تتطلبها عملية الفهرسة التي ارتضاها المشرفون على مؤسسة الفرقان، وتكلف بعض المشرفين الموجودين داخل هذه البلاد بملأ هذه الاستبانات من واقع المخطوطات نفسها، ثم تكلف بعض المتخصصين بمراجعة هذه البيانات من الناحية الببليوجرافية، هذا الحقيقة دور مهم جدًا، أيضًا هناك دور آخر قامت به مؤسسة أخرى في دبي، هي مؤسسة جُمعة الماجد، هي مؤسسة خاصة أيضًا قامت بتجميع العديد من المخطوطات، والعمل على إشاعة نوع من معامل ترميم وصيانة المخطوطات في مقابل حصولها على مصورات لعدد من المكتبات العربية أو المكتبات العالمية، طبعًا لا ننسى الجهد الذي نشأ في العقود السابع والثامن والتاسع من القرن العشرين في العديد من الجامعات الموجودة في المملكة العربية السعودية، أو في المراكز المتخصصة، مثل: مركز الملك فيصل، أو مكتبة الملك فهد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وجامعة أم القرى، وغيرها من جامعات المملكة حرصت على اقتناء العديد من المخطوطات الأصلية أو مصورات لبعض المجموعات الكاملة الموجودة في بعض مكتبات العالم، هنا يكون من الواجب على هذه المؤسسات بعد اقتناء هذه المخطوطات العمل على فهرسة هذه المخطوطات الجديدة وتصنيفها، ولكن يكتفى عادة بالفهارس التفصيلية التي قام بها أصحاب المكتبات الأساسية في جمع هذه المخطوطات، هناك خدمة أخرى مهمة لنشر التراث المخطوط تتمثل في إصدار المجلات والدوريات المتخصصة في دراسة المخطوطات، ربما المجلة الرائدة في هذا الموضوع تظل مجلة معهد المخطوطات العربية التي صدر الجزء الأول منها عام ١٩٥٥م، وما زالت مستمرة في الصدور، في عام ١٩٨٦م صدرت مجلة أخرى باللغة الإنجليزية أصدرها عالم المخطوطات الهولندي "جنيس وبكم" بعنوان "The Middle East" وتنشر في "لايدن برل"، ولكنها للأسف توقفت بعد صدور ستة أجزاء، وهي أيضًا طباعة فاخرة، وتقدم لنا دراسات مختلفة عن علم "الكوديكولوجيا" بصفة خاصة، وكذلك مجلة عالم المخطوطات التي تصدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في المملكة العربية السعودية، ثم مجلة أخرى تصدر في سان بطرس بورج في روسيا، بها دراسات مهمة، صدر العدد الأول منها عام ١٩٩٥- ١٩٩٦م، ثم أخيرًا مجلة أخرى تصدر في إيران "طهران" بعنوان

"نمـاإي بارسـتان" وصـدر منهـا حتـى الآن حـوالي عـشرة أجـزاء، طبعًـا هـذه خدمـة مهمـة؛ لأن دراسـة المخطوطات، وعلم المخطوطات الجديد الذي يهتم ليس فقط بشكل التصنيف أو الفهرسة، ولكن أيضًا بالوصف المادي للمخطوطات، وهو كما ذكرت في محاضرة في الأسبوع الماضي، هو فن جديد لم يظهر ولم يتطور إلا ابتداءً من الربع الأخير من القرن العشرين، هذه المجلات تقوم بدور مهم في التعريف بهذا العلم الجديد، وفي الدراسات التي يمكن أن تسهم في إثراء مجال علم المخطوطات.

ربما من أهم الأشياء التي تؤديها المؤسسات العربية والجامعات هو توفير مخابر الترميم على النظم الحديثة؛ لأن أهم الآفات التي يمكن أن تتعرض لها المخطوطات هي كما تعرفون الحفظ السيئ والإرظة والرطوبة التي يمكن أن تتعرض لها المخطوطات، فإذا لم يتم المحافظة على هذه المخطوطات بطريقة علمية تقوم على أساس دراسات كيميائية فيزيائية، وتوفر الظروف والملاءمات لاستمرار هذه المخطوطات وبقائها التي تمثل كما ذكرت مجموع، أو نتاج الفكر العربي؛ لأن مهمتنا الآن ليس فقط إتاحة هذه المخطوطات للبحث العلمي، وإنما أيضًا حفظها وتوفيرها للأجيال القادمة التي تستطيع من خلالها أن تراجع هذه المخطوطات وتدرسها.

الشيء الأخير الذي أحب أن أشير إليه هو ضرورة أن يكون هناك توحيد لقواعد البيانات الالكترونية ومداخلاها حتى يتم عمل شبكة اتصالات أو شبكة كاملة لقواعد البيانات الخاصة بالمخطوطات على المستوى العربي مع توحيدها بعد ذلك مع المكتبات العالمية، وأنا شخصيًا حضرت في نهاية عام ١٩٩٨م اجتماعًا نظمه اليونسكو في المكتبة الوطنية في باريس، كان من مهمته وضع ضوابط لإنشاء قواعد البيانات الآلية لفهرسة المخطوطات؛ لكن للأسف كان نسبة التمثيل فيه ضعيفة، وليس هناك متابعة للنتائج التي توصل إليها هذا الاجتماع، خصوصًا وأن كل مكتبة كانت تتبع نظامًا خاصًا بها في بناء قواعد البيانات، بحيث إنه من الصعوبة دمج وتوحيد قواعد البيانات هذه بعضها مع بعض، حتى نستطيع أن نعرف مؤلفًا واحدًا أين توجد مؤلفاته، وفي أي مكتبة توجد نسخها، ولذلك كما ذكرت في البداية، إن مهمات اليونسكو والإسيسكو والإليكسو هو تجميع أمناء ومديري هذه المكتبات، ومحاولة الوصول إلى تصور، كيف نصل إلى الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور أيمن فؤاد السيد بهذه الكلمات الطيبة فيما يتعلق بما قدمته الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية، ولا يفوتني أن أشير الحقيقة إلى مشروع في جامعة الأزهر قد يكون البعض سمع به، ولكنه من المشاريع الجبارة التي قامت بها أو أسهم ودعمها الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لجامعة الأزهر لمحاولة وضع وفهرسة المخطوطات على شبكة الإنترنت، فقط من الأرقام الإحصائية لهذا المشروع بين يدي، في أحد الأشهر زار هذا الموقع أكثر من٣٦،٠٠٠ زائر، الغريب في الأمر أن نسبة ٦٠٪ من الزائرين كانوا من الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الموقع، أنا لا أريد أن أدخل في قضايا اهتمام المستشرقين، لأن هناك بعض الأسئلة في

هذا المجال في تراثنا سواء في الدوافع وغيرها، لأن هذا المجال التاريخي كبير جدًا، ليس مجاله هذا اللقاء، فلعلي أنتقل إلى المحور الثالث، وهو مدى الاستفادة من التقنية الحديثة في مجال معالجة المخطوطات وحفظها وإتاحتها بصفة عامة، ويقدم هذا المحور الدكتور فيصل عبدالسلام الحفيان، وهو منسق برامج معهد المخطوطات العربية، التخصص العام للدكتور فيصل، الدراسات اللغوية والمخطوطات، أما التخصص الدقيق فهو النحو والصرف، الدكتور فيصل حصل على الدكتوراه في اللغويات، وهو كما ذكرت منسق البرامج في معهد المخطوطات، ورئيس تحرير مجلة معهد المخطوطات، كما أنه رئيس تحرير دورية أخبار التراث العربي، وخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، له أعمال كثيرة ما بين تأليف ومراجعة وتنسيق وتحرير، لعلي أذكر بعضها، من ذلك، الكافي في الإفصاح عن مسائل الإيضاح.. تحقيق ودراسة، إضافة إلى الأعمال التي يعرفها الجميع التي صدرت عن معهد المخطوطات العربية، التي قام الدكتور فيصل الحفيان مشكورًا بتنسيقها وتحريرها، فن فهرسة المخطوطات، التراث العلمي العربي.. مناهج تحقيقه، التراث العربي المخطوط في فلسطين، المخطوطات الطبية الإسلامية في العالم، وهي عبارة عن دراسات مختارة من ثلاث مجموعات في القاهرة، قام الدكتور فيصل بتأليفها، إضافة إلى المصحف العماني، تقاليد الكتابة وجمالية الفن، وهو عبارة عن فهرس أو كتالوج أصدره الدكتور فيصل، وأترك له المجال ما بين ١٠ إلى ١٥ دقيقة، فليتفضل مشكورًا.

الدكتور فيصل الحفيان:

بسم الله الرحمن الرحيم، لست مكتبيًا ولا تكنولوجيًا، لكن المسؤولين في المكتبة اختاروا لي هذا الموضوع، ولذلك فإن كلامي سيكون محصورًا في التأطير التنظيري للمسألة.

وبداية لابد أن أقول: إن أي حديث عن التراث لابد أن يكون حديثًا ذا شجون فإذا ما أضفنا إلى ذلك الحديث عن التراث المخطوط زادت نسبة الشجن، فإذا ما أضفنا إلى ذلك نعتين آخرين العربي والإسلامي وصلنا إلى ذروة هذا الشجن، الأمر يتعقد أكثر إذا ما انتقلنا إلى الربط بين التراث والتكنولوجيا في الجدل الذي يتحقق بينهما، جدل العلاقة، يتعقد لأن المسألة تصبح مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمستقبل هذا التراث سواءً في حياته في ذاته أو في أثره في تحديد مصير أصحابه وقدرتهم أساسًا على الحضور الحضاري في هذا العصر الذي نعيش فيه، قبل أن نلج جدل العلاقة القائمة بين التراث والتكنولوجيا لابد أن نقف عند إشكاليتين لهما صلة وثيقة بهذه العلاقة، الإشكالية الأولى تتصل بما يمكن أن نسميه ثنائية المعروف والمجهول من تراثنا، على الرغم من أننا عرفنا جزءًا لا بأس به من هذا التراث، لكنني أحسب أن الجزء الأكبر ما يزال مجهولاً، وبالطبع أنا أقصد بالمعرفة هنا المعرفة من الخارج، أما المعرفة من الداخل فتلك مسألة ما تزال بعيدة، الجزء الأكبر الذي أشير إليه المجهول، هو ليس جزءًا اعتباطيًا أو جزافيًا، فنحن لدينا مناطق جغرافية واسعة لا نعرف عنها إلا القليل، ولدينا أعلام منسيون شغلنا بالمشهورين عنهم، ولدينا علوم معرفية كاملة، ألمح

إليها الدكتور عبدالستار، بعيدة عن العين، لقد شغلنا بمناطق عن مناطق، وشغلنا بأعلام عن أعلام، وبعلوم عن علوم، هذا الجهل المركز جعلنا أكثر حدة وعمقًا وخطرًا، ولدي مثال على ذلك يتصل بالتراث العربي الإسلامي في مجال الفكر السياسي الإسلامي، أحد الأساتذة من زملائنا قام بدراسة حول هذه المصادر، درس فيها أو أحصى فيها أكثر من ثلاثمئة مخطوطة في الفكر السياسي الإسلامي، تبين له بعد دراسة دقيقة، أننا لن نعرف منها إلا ٦٪، وأن ما تداولناه في دراساتنا حول هذا الفكر السياسي الإسلامي لا يتجاوز ١- ٢٪ من هذا التراث، إذن نحن أمام مناطق قاحلة في ذهننا عن هذا التراث.

الإشكالية الثانية تدخل في مفهوم التراث في ذاته، أو بالأحرى في العمل من أجل هذا التراث، يحسب بعضهم أن العمل التراثي هو إخراج لنص مخطوط من صورته اليدوية إلى صورته المطبوعة، وتحقيقه ودرسه ونشره وفهرسته، طبعًا أقصد بالدرس الدرس المباشر، لكن الأمر ليس كذلك فالعمل في التراث هو عملان في حقيقته، عمل في النص، وعمل فيما بعد النص، وهذا بعيد عن ظل ما بعد الحداثة، أقصد في النص وفيما بعد النص، هذا الأخير العمل فيما بعد النص، هو تتويج للعمل في النص، وإن كان لا يستغني عنه، العمل فيما بعد النص، هو وضع هذا النص في سياقه المعرفي، في سياق المعرفة العربية الإسلامية التاريخية، ثم في سياق المعرفة الإنسانية، ثم توظيفه لبناء نظرية متفردة تدل على صاحبه وتميزه، بعد هاتين الإشارتين، أتوقف أيضًا عند المراحل التي يمر بها العمل من أجل التراث لتتحدد لنا صلة هذا العمل بالتكنولوجيا والدوائر التي يلتقيان فيها، وتلك التي يفترقان فيها، أستطيع أن أرصد هذه المراحل وأعددها فأقول: إنها ست مراحل.

الأولى: في التعرف على التراث وكشفه، ولن يتحقق ذلك إلا بما يمكن أن نسميه عملية الجمع، أو على الأقل معرفة أماكن وجوده، ورسم خريطة تفصيلية تبين تضاريسه بدقة.

الثانية: هي مرحلة إنقاذه وصيانته وترميمه وحفظه، حتى يكون قريبًا من الباحثين، ويتحول إلى جزء لا يتجزأ من النسيج الثقافي.

الثالثة: وهي عملية إتاحته.

الرابعة: وهي تسهيل العمل فيه من خلال عمليات الفهرسة والتكشيف.

الخامسة: في درسه درسًا مباشرًا، وتشمل هذه المرحلة تحقيقه، وما يعنيه ذلك من ضبط للنص والتعليق عليه، والدلالة على القضايا العلمية، والتعريف بمؤلفي هذه النصوص.

السادسة: وهي تتمثل في توظيفه أو لنقل هي عمليات ما بعد النص والدرس المباشر، تلك التي تجعل من التراث الماضي جزءًا من نسيج الحاضر، وحافزًا نحو صناعة المستقبل.

إذا ما اتفقنا على هذه المراحل وبحثنا عن علاقة التكنولوجيا بكل منها فإننا سنلحظ أن دور هذه التكنولوجيا لا يتعدى ثلاث مراحل هي الثانية: أعني الإنقاذ، والثالثة، وأعني الإتاحة، والرابعة: وأعني تسهيل

العمل فيه، أما الأولى التعرف، والخامسة وهي الدرس والتحقيق، والسادسة التي هي التوظيف، فإن دور الإنسان فيها هو الدور الأساس، وهو دور يتدرج فيما يحتاجه من إمكانات علمية وخبرة، ورأس هذا الدور هي مرحلة التوظيف التي تحتاج إلى صفوة من العلماء.

أعود إلى المراحل التي تقوم التكنولوجيا بدور أساس فيها، أو لنقل أن الإنسان لا يستغني فيها عن التكنولوجيا، سنجد أن مرحلة الإنقاذ تحتاج إلى تلك المواد والأجهزة التي تقوم أو تساعد في عملية الحفظ والصيانة والترميم، وإن كان للإنسان دور لا ينكر فيها، فنحن نعلم أن عمليات الترميم اليدوي ما تزال حاضرة حضورًا قويًا على الرغم من كل أجهزة الترميم التي عرفت حتى الآن أيضًا من أن أشير إلى أن أخطر المراحل التي نحتاج فيها إلى التكنولوجيا هي مرحلة الإتاحة على الرغم من أنها مرحلة بسيطة، فما معنى الإنقاذ "إنقاذ المخطوطات"؟ وما يتصل بهذه المرحلة، وما معنى الدرس؟ فما معنى الإنقاذ وما يتصل به دون أن نتيح هذه المخطوطات؟ والدرس والنشر في المرحلة الثالثة، لن يتحققا بدون هذه الإتاحة، فهي — الإتاحة— ثمرة ما قبلها ومطية لما بعدها.

إن التكنولوجيا وثورة المعلومات والاتصالات التي غيرت حياة الناس ينبغي أن يكون لها دور أكبر في خدمة التراث وبخاصة المخطوط في مجالات الإنقاذ والإتاحة والتسهيل، وأحسب أن جزءًا كبيرًا من الهم التراثي لن يزيله أو يخفف منه سوى هذه التكنولوجيا، ولذلك فإن على المؤسسات والمراكز التراثية العربية أن تكون في حالة سباق مع الزمن في توظيف هذه التكنولوجيا في خدمة هذا التراث، مثل هذا التوظيف هو الذي سينقذ ما تبقى من تراثنا، ويتيحه ويسهل العمل فيه، مع اختصار للوقت والجهد، حتى نفرغ للتركيز على العمل العلمي الحقيقي، الذي سيجعلنا حاضرين في هذا العصر، لكن هذا التوظيف للتكنولوجيا والدعوة إليه والإلحاح عليه، لا ينفي أن لهذه — كما قلت — التكنولوجيا حدودًا لا تتعداها، وأنها ليست أكثر من خادمة فحسب، وهذا أمر ينبغي أن يستقر في الذهن، فالعمل في التراث لا ينتهي عندها — لا ينتهي عند التكنولوجيا— إنه يبدأ بها، ولا يجوز أن يتصور أحد أن بإمكان التكنولوجيا أن تحقق نصًا تراثيًا، أو تدرسه، وقد يجوز أن تكشفه، ولكن التكشيف أيضًا هنا لابد أن يخضع لمراجعة دقيقة من المحقق، أو يكون بمثابة الخطوة الأولى، فنحن نعلم أن ثمة إشكاليات عدة لا تقع تحت حصر، تتصل بالمصطلحات، وتتصل بالأسماء والقضايا التي تحفل بها النصوص، ومن الصعب تقنينها على الأقل في المرحلة الحالية، وفي مقابل ذلك لابد أن نعترف بأن كثيرًا من المؤسسات العربية التراثية، وبخاصة في الدول الغنية، قطعت شوطًا في توظيف التكنولوجيا في خدمة التراث، لكنها بحاجة إلى توظيف أكبر، وهو توظيف يحركه العقل الإنساني، وأضرب على ذلك مثلاً، نحن اليوم لدينا قواعد بيانات للمخطوطات، وللرسائل الجامعية المتصلة بالمخطوطات، وبالتراث عمومًا، وهي في الغالب قواعد جزئية تركز غالبًا على المخطوطات التي تملكها هذه المؤسسة أو تلك، قد تتجاوزها أحيانًا إلى دوائر أوسع، نحن في معهد المخطوطات مثلاً، لدينا قاعدة

معلومات خاصة بمصوراتنا، ولدى دار الكتب أيضًا قاعدة، ولدى مكتبة الأسد الوطنية، وقس عليها في الدول العربية الأخرى، باستثناء مركز الملك فيصل الذي يملك قاعدة أكبر، حاول أن تكون أكثر استيعابًا، نحن هنا مطالبون بتوظيف التكنولوجيا لتحقيق التكامل، وقد أثرنا في معهد المخطوطات العربية في أحد اللقاءات العلمية التي عقدناها قضية الشبكة العربية لمعلومات التراث، في إطار الهيئة المشتركة لخدمة التراث، هذه الآلية التي شكلها معهد المخطوطات لكن خطوة – وهذا من باب الاعتراف – في هذا الصدد لم تتحقق، وليس هذا موطن الوقوف عند أسبابها، في مشروع الشبكة هذا يحقق الحضور التكنولوجي في عالم التراث في أبهى صورة، ولعل المستقبل يشهد ولادة هذه الشبكة، وهذه مناسبة للّفت إلى أمرين في عملنا أختم بهما:

الأمر الأول: أن عمل هذه المؤسسات العربية التراثية يصطبغ بالأنانية أو بقدر من التنافس، أو بالحد الأدنى من القسوة بالفردية، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في بحث لي قدمته في الندوة العالمية للمخطوطات التي عقدتها الإسيسكو في عام ١٩٩٦م، تحت عنوان: التعاون بين مراكز المخطوطات .. القضية الغائبة.

الأمر الثاني: يتصل بضعف تمويل المؤسسات التراثية ومحدودية العاملين فيها؛ مما يؤثر سلبًا على قدراتها في العمل، وعلى اقتحام آفاق جديدة، قد يكون الحل في تكامل هذه المؤسسات، وتبنيها مشروعات مشتركة، وتوزيع المهام والمسؤوليات بينها.

إن قضية التكنولوجيا والتراث، قضية مركبة وعميقة تحتاج منا إلى رؤية، أو نظرة واسعة حتى نصل إلى ما نستطيع أن نحقق من خلاله حضورنا كما قلت في بداية كلامي، وإلا فإن عالم القرية الصغيرة الذي نعيشه اليوم، سيكون بالنسبة لنا عالمًا كبيرًا نتوه فيه؛ فنغترب، أو فلكًا نعجز عن الاقتراب منه؛ فنصاب بالعجز واليأس والإحباط، وهو ما لا نرضاه لأنفسنا، ونحن أحفاد أولئك الذين أعطوا الإنسانية العلم والأدب والحضارة قرونًا طويلة، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور فيصل على هذه المعلومات الجيدة، والحقيقة إذا أردت أن أعقب على بعض النقاط التي تعرض لها الدكتور فيصل يكفي أن نقول: إن إشارة من يعلق جرس في الاهتمام بالتقنية ومحاولة إدخالها في مجال المخطوطات، أتصور أن هذا من النقاط المهمة جدًا، لأن هناك من يحجم كثيرًا عن محاولة الإفادة من التقنية في مجال المخطوطات، سواءً بمعرفة أم عن جهل، والحقيقة أن التقنية أثبتت فائدتها الكبيرة في مجالات متنوعة منها: الأرشفة الإلكترونية، فأتصور أن مجال المخطوطات يجب أن يكون مبادرًا في هذا الأمر، ولعل المشاريع التي قامت في مختلف أرجاء العالم العربي والإسلامي وفي الخارج أيضًا، يدل على الاهتمام بالمخطوطات العربية والإسلامية، ومحاولة الإفادة منها في محاولة ربطها بالتقنية الحديثة.

الحقيقة بالنسبة للمداخلات لعلي أشير مرة أخرى إلى الأخوات، سنجعل المداخلات والأسئلة كالتالي سنترك المجال أولاً للمداخلة هنا عند الرجال، ثم المداخلة عند النساء، ثم نترك مجالاً للأسئلة التي وردت لنا من الإخوة في هذا اللقاء، لكن من يريد المداخلة، الرجاء أن تكون مكتوبة حتى يتاح المجال للجميع.

لعلي أبدأ بأول ما وصلني من المداخلات، وهي من الأستاذ أيمن عبدالرحمن، حول جهود الدارة في خدمة المخطوطات، وأحب أن أشير إلى المشروعات والاهتمامات من الغرب، ولكن من داخل المملكة أو في العالم العربي فلعل التجارب التي ستذكر ويثرى بها هذا اللقاء، سواء مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، أو الدارة، أو مركز الملك فيصل، لعلها تكون مجال الحوار، وأترك المجال للأخ أيمن فليتفضل:

المداخل: الأستاذ أيمن

بعد موافقة مركز إدارة الدارة بإقامة معرض المخطوطات السعودية، المتعلقة بالمملكة العربية السعودية، بدأت الدارة في مراسلة الأفراد والجهات المهتمين بالمخطوطات، وبعد ذلك تم تدشين مشروع باسم مسح المصادر التاريخية للمملكة العربية السعودية في مناطق المملكة، في أثناء البحث تم اكتشاف بعض الأفراد المهتمين بالمخطوطات، ويمتلكون الكثير من المخطوطات لكن لا توجد أي عناية بهذه المخطوطات، بعد ذلك قدمت الدارة عددًا من الخدمات لهؤلاء الأفراد من تعقيم وفرز وفهرسة يدوية وإلكترونية، كذلك تم التصوير والترميم، لتجهيزها للمشاركة في معرض المخطوطات السعودية الذي سيقام قريبًا بإذن الله، كذلك واجه هذا المشروع بعض الصعوبات، حيث توجد بعض المخطوطات الموقوفة على أسرة معينة ويصعب إخراجها، فتم استصدار فتوى من هيئة كبار العلماء، بجواز نقل المكتبات الموقوفة على أفراد أو على أسر أو على مدارس، أو مساجد، بجواز نقلها إذا تعطلت منافعها للدارة، بعد صدور الفتوى تم جمع الكثير من المخطوطات، إذ بلغ عدد المكتبات والأفراد الذين تم جمع المخطوطات منهم أكثر من ٥٠ مكتبة موجودة إما في مساجد أو مدارس أو في بيوت قديمة، بلغ عدد المخطوطات التي تم جمعها في هذه المرحلة ٣٠٠٠ مخطوط، بعضها يصل الندرة فيها أنها قديمة، وتصل إلى القرن السادس الهجري، كذلك تم اكتشاف بعض العلوم الجديدة المحلية في المملكة، مثلاً في علم الفلك، في علم الأنساب، في علم التاريخ التي كانت نادرة في المنطقة.

المعرض سيقام قريبًا إن شاء الله بعد ستة شهور، ندعو الإخوان لحضور هذا المعرض، وسيصحب هذا المعرض حملة إعلامية، كذلك سيتم تكريم المشاركين، ستقدم الدارة خيارات عدة، إذا كانت المكتبة غير موقوفة، سيتم عرض الشراء، أو أن يتم وقفها للدارة، كذلك تم اكتشاف بعض المخطوطات النادرة والمفقودة، مثلاً الشيخ عبدالرحمن السعدي، وهو من أعلام المملكة العربية السعودية له شرح على نظم ابن

عبدالقوي، أحد الكتب المهمة، فتم التواصل مع عدد من الجامعات، وتم التواصل مع جامعة الإمام والمعهد العالي للقضاء، وتم تكليف أكثر من ٤٧ رسالة ماجستير لتحقيق هذا الكتاب، وهو كتاب محلي مهم للمملكة، هذه أبرز جهود الدارة في العناية بالمخطوطات، كذلك ندعوكم لزيارة مركز المحافظة على المواد التاريخية، هو أشبه ما يكون بمستشفى للكتاب، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الأستاذ أيمن على هذه المداخلة الجيدة، هناك بعض الأسئلة للمتحدثين لعلي أبدأ بالدكتور عبدالستار.

الدكتور عبدالستار، كيف يمكن زرع وغرس حب التراث في أجيالنا القادمة، وبالذات تلك الأجيال التي يطلق عليها البعض أجيال التقنية، في توظيف اهتماماتهم لخدمة التراث العربي والإسلامي؟

إجابة الدكتور عبدالستار الحلوجي:

أتصور أن الاهتمام بالتراث ضعف عند الناس وعند الشباب والطلاب، نتيجة لضعفهم باللغة العربية، مستوى تعليم اللغة العربية في جميع مدارسنا تدنى إلى درجة مؤسفة، ووسائل الإعلام تسهم في تأصيل هذا التدني، سواء كانت صحافة أو إذاعة أو تلفزيون، في تقديري أن مناهج التعليم في مراحل التعليم بدءًا من المتوسط، وليس الابتدائي يجب أن تهتم بأن تختار للطلاب نصوصًا من التراث تحببهم في هذا التراث، لأنه حري أن تربي مادة النصوص الأدبية الذوق عند الأطفال، بكل أسف هي تفسد الذوق، ولا أريد أن أعطي أمثلة، في كتب التعليم الابتدائي، وكلكم عندكم أولاد، أو إخوة صغار أو أخوات، فأتصور أن الاهتمام يبدأ بالتعليم المتوسط والثانوي بأن ننمّي اهتمامهم بهذه اللغة التي تدنى مستواها بشكل مؤسف عن طريق اختيار من نصوص التراث، وبالمناسبة التراث نأتي بكلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء، ما هو جديد الآن سيكون قديمًا غدًا، يجب أن نحسن الاختيار، ونختار الأشياء الجيدة، ليس بالمقصود بالتراث هنا أن أرجع للعصر الجاهلي، أو الأموي أو الإسلامي، لا، يمكن أن يكون التراث أن نأتي لهم بأشياء من عصور قريبة من عصرنا هذا، وتتدرج معهم حسب المستوى التعليمي، إنما في ظل هذا التدني لمستوى الأداء اللغوي عند الطلاب، وأنا أذكر في جامعة الملك سعود منذ حوالي ٣٠ عامًا، عقد مؤتمر اسمه: مؤتمر رسالة الجامعة، وأشار إلى هذه النقطة، لكن نحن بكل أسف التوصيات التي تنتج عن المؤتمرات لا أحد يتابعها، أتصور أن مناهج التعليم وبرامج التعليم في جميع البرامج عليها مسؤولية كبرى هي التي تنمي الاهتمام بالتراث، لا أستطيع أن أزرع الاهتمام بالتراث في الجامعة، لطالب ليس لديه فكرة عن أي شيء، ولا أستطيع أن آتي به بعد خروجه من الجامعة ونقول له التراث! التراث يبدأ من البداية، وفي تراثنا أشياء جميلة جدًا وتناسب جميع الأعمار، ويمكن للابتدائي أيضًا، فهي تحتاج إلى غربلة لمناهج التعليم، وخصوصًا في مادة اللغة العربية والدين، الدين شيء أساسي، إنما أنا يلفت انتباهي أنه أحيانًا يطرح موضوع على الطلبة وفي سن لا يناسبهم، بمعنى أن طالب الصف الأول الابتدائي، ونقول له عن مسألة الطهارة، ما الفرق بين

الماء الطاهر والماء الطهور؟ لدينا ٩٩٪ من طلاب جامعاتنا لا يعرفون الفرق بين الماء الطاهر والماء الطهور، المطلوب أن يعرفوه، لكن الدخول في تفاصيل قد لا تناسب السن، قد لو أعطيت له في سن أكبر تفيده بشكل أكبر، ولا قيمة لتعليم أشياء أنا لا أحتاج إليها، نريد أن يشعر الطالب أنه يتعلم أشياء هو يرغب في معرفتها، نعيد هذه المناهج نبحث في أنسب سن لها ونقدمها له، وهناك تطورات تحدث حتى في المصطلحات الفقهية، المصطلحات التي في كتب الفقه، هل الطلاب يفهمونها أم لا؟ فلابد أن مناهج التعليم خصوصًا في المواد التي تتصل بالتراث كاللغة العربية والدين، والتاريخ الوطني للدولة، التربويون يقولون: 3R: Reading-Writing-Arithmetic القراءة والكتاب والحساب، فنحن في جميع مراحل التعليم، ما هي المواد التي تنمي هذا الاهتمام، ونحاول ندخلها، ولا ندخلها كمادة تراث، أبسط شيء مصادر التراث العربي، ألغيت من معظم أقسام المكتبات في الوطن العربي، فمن الذي يدرسها؟ الخواجات! يتخرج طالب من قسم المكتبات لم يسمع عن فهرس ابن نديم، وكشف الزهور، من الذي سيسمع إذن؟ هذا تخصصه هو، هذه مأساة حقيقة، لأن الموضة الآن بكل أسف.. التكنولوجيا، الجميع يريد أن تحدث في التكنولوجيا، وأريد أن أذكر شيئًا وأختم به، التحول الذي يحدث الآن، أقسام المكتبات في المملكة لا يزكي الاهتمام بالتراث، كل أقسام المكتبات الآن تتحول إلى التكنولوجيا، التكنولوجيا فقط، منذ أكثر من ٣٠ سنة ألقيت محاضرة في كلية الشريعة عند مصلى العيد، وختمتها بجملة لا أنساها، وكنت أتكلم عن التكنولوجيا في المكتبات، قلت: أنا لست ضد التكنولوجيا، يجب أن نلحق بالتكنولوجيا بالتأكيد، بشرط ألا ننسى ماضينا، ألا ننسى تراثنا، لأن الأمة التي تنسى ماضيها، كالإنسان الذي يفقد ذاكرته، فيفقد معها الماضي والحاضر والمستقبل جميعًا، وشكرًا.

مدير الجلسة:

وشكر الدكتور عبدالستار على هذه الإجابة المستفيضة، والمداخلة الآن مع الدكتور عبدالكريم الزيد.

الدكتور عبدالكريم الزيد:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحب بالأساتذة الكرام ممن حضورا هذا اللقاء، كما أتقدم بالشكر الجزيل لفرسان هذا اللقاء، وهم أساتذة كبار لنا جميعًا، وقد استفدنا منهم، ونستفيد هذه الليلة بما طرح من أفكار جميلة ورؤى عن ماذا قدمنا لخدمة المخطوطات العربية؟ لدي تعقيب سريع جدًا، عندما ذكر الأساتذة بعضًا من النقاط حاولت أن أربط بينهما لأجيب على سؤال يتردد في ذهني كثيرًا، وهو ماذا قدمت الجامعات في الوطن العربي والمراكز والمؤسسات الثقافية المتخصصة لخدمة هذه المخطوطات؟ وأقصد بذلك القضية التي ذكرها الدكتور فيصل عندما تحدث عن قضية توظيف أو تحقيق هذا التراث، ثم توظيفه من أجل المستقبل، وقد شدني ما ذكره الدكتور عبدالستار عندما ذكر في بداية كلمته المختصرة، أن لدينا نوعين أو فرعين من

المخطوطات، العلوم النقلية، ثم العلوم التطبيقية أو العلوم العقلية، ويقصد بها المخطوطات في مجالات العلوم: كالطب والكيمياء والفيزياء، .... إلخ، من العلوم التي برع فيها التراث الإسلامي والعربي خلال القرون الخمسة الأولى، لا أجد إجابة مقنعة فأغلب للأسف جامعاتنا ومراكزنا المتخصصة، لم تُعن بأقل ما يمكن من أجل تحقيق هذا التراث، من أجل دراسة هذا التراث، تركنا هذا المجال لمن يا إخوة؟ لقد ترك مجال تحقيق المخطوطات إلى الناشرين في الوطن العربي، وهم أناس أكفاء بلا شك، ولكن في مجال دراسة السوق ومتطلباته واحتياجاته، فإذا وجد أن الكتاب التراثي في التفسير الفلاني هناك طلب في السوق للشراء قام بالتحقيق، تحقيقًا غير علمي، وتحقيقًا للأسف يسيء لهذا التراث، ثم قام بالطباعة والنشر ليبيع أكبر كمية من هذا الكتاب، ولكن الكتب والمخطوطات الجادة في علوم تثبت لنا هويتنا للأسف هذه في غياهب الأدراج، ولم يلاحظ على مدى الخمسين سنة الماضية أي جهود منظمة من المؤسسات الأكاديمية والثقافية والفكرية في وطننا العربي، شكرًا لكم.

رئيس الجلسة

شكرًا للدكتور عبدالكريم على هذه المداخلة، مرة أخرى إذا كان هناك مداخلة من الأخوات.

هناك سؤال للدكتور أيمن فؤاد السيد، ولعلي أربط بين سؤالين ذكرتم جهود عدد من المؤسسات العربية والإسلامية سواء كانت حكومية أو غير حكومية، في ضبط ودراسة المخطوطات العربية، فهل هناك تنسيق بين هذه الجهود لضمان عدم التكرار، وعدم التنافس بين هذه المؤسسات، من الدكتور محمود الجندي، لعله يرتبط بهذا يا دكتور أيمن دور الجامعات أيضًا، أو أقسام المكتبات في تأهيل طلابها في مجال المخطوطات؟

الدكتور أيمن فؤاد السيد:

الحقيقة السؤالان، وأيضًا الحديث الذي تفضل به الدكتور عبدالكريم الزيد مرتبطين بعضهما البعض سأحاول أن أرد على الأسئلة الثلاثة، في البداية جميع المؤسسات التي تعمل، تعمل تقريبًا بطريقة فردية، وكل فريق لديه منهجه ولديه خططه وأهدافه التي يريد الوصول إليها، لكن ليس هناك تنسيق بين المؤسسات والجامعات والمكتبات لوضع أسس واحدة كما قلت يجب أن تكون حتى نستطيع أن نصل إلى الفهرس الشامل للتراث العربي، وأن الدور الذي يمكن أن يكون لمثل هذا التنسيق يجب أن يتم عن طريق مؤسسات إقليمية أو مؤسسات دولية تتبناها إما الإليسكو أو الإسيسكو أو اليونسكو في التنسيق بين المنطقة العربية الإسلامية، والمناطق الأوروبية، للرصيد نفسه الموجود لدينا موجود مثله أو أكثر في العالم الخارجي، فأيضًا نحن بحاجة أن نعرف ما هو التراث الموجود هناك؟ وما الطرائق؟ وما الأساليب المتبعة في فهرسة هذه المخطوطات وصيانتها، فيجب أن تكون هنا اجتماعات دورية بين هذه الجامعات، وهذه المؤسسات، ويعرف كل طرف الأساليب المتبعة لدى الطرف الآخر، فيمكن التنسيق بينها، ويمكن التكامل بينها، ويمكن استبعاد أشياء، ويمكن استحداث أشياء، فالجلوس سيؤدي إلى بداية هذا التعاون، تبادل الخبرات، تبادل

المعرفة، توفير الإمكانات، كل هذه الأشياء لا يمكن أن تتم إلا إذا حدث تنسيق بين المسؤولين عن هذه الأجهزة وهذه المؤسسات والمكتبات، الشيء الآخر هو ما ذكره الدكتور عبدالكريم ربما يرتبط بقضية تحقيق المخطوطات ونشرها أكثر من صيانتها وحفظها وإتاحتها؛ لأن الواضح أن المنظمة اهتمت بتناول الجزء الخاص بحفظ وصيانة وإتاحة المخطوطات أكثر من الحديث عن تحقيق المخطوطات ونشرها وعدم تكرار الجهود في نشر المخطوطات لأن هناك جهود قام بها المستشرقون وقامت بها مؤسسات مثل قسم الأدب في دار الكتب، ومثل مجامع اللغة العربية، ومثل دار المعارف في مصر، ومثل الجامعات المتخصصة كجامعة أم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وبيت الحكمة وغيرها من المؤسسات بالإضافة إلى دور النشر الخاصة التي تنظر إلى الموضوع أحيانًا من الناحية التجارية، وأحيانًا من ناحية علمية، ودور الجامعات لتأهيل الطلاب هو توجيه كما قال الدكتور عبدالستار الاهتمام أولاً منذ البداية بقضية اللغة لأن التعامل مع التراث والمخطوطات لابد من إجادة اللغة وفهم النصوص، والأساليب والسياقات الموجودة في المخطوطات، والجامعات في تصوري أنها تنظر إلى التراث عمومًا نظرة قاصرة، لا تعطيه حقه، بل إن بعض الجامعات ترى أن التعامل مع المخطوطات ونشرها عملاً غير إبداعي، وأنه عمل ثقافي، يمكن أن يضاف إلى النشاط الثقافي الذي يقوم به الباحث، ويدخل في إطار البحث العلمي، علمًا أنني لا أستطيع أن أقيم دراسات أو أقيم أبحاثًا دون توافر أصول صحيحة ومضبوطة أستطيع أن أقيم عليها هذه الدراسات، فكثير من الدراسات التي قامت على نشرات قديمة، كالنشرات التي أخرجتها مطبعة بولاق على سبيل المثال وهم مشكورون على الجهد الذين قاموا به، إلا أنها كانت على غير أساس، وعلى غير منهج علمي، وأصبحت إعادة نشر أشياء منها توضح حجم الأخطاء وحجم الإسقاط وحجم التحريف والتصحيف الموجود فيها، وأستطيع أن أضرب مثالاً بإخراجي لخطط المقريزي، الناس جميعًا أمضت أكثر من ١٥٠ سنة تعتمد نشرة بولاق من الخطط، ولما أخرجت النشرة الخاصة بي، أثبت حجم التحريف والتصحيف والسقط الموجود في نشرة بولاق، والكثير من الدراسات التي قامت بالاعتماد عليها، يجب أن تعاد مرة أخرى، اعتمادًا على القراءة الصحيحة، وعلى السياق الصحيح، فإذن هذا عمل مهم وضروري وأساسي لقيام الأعمال التي يسمونها إبداعية، والدراسات الجديدة إذا لم تُبن على أساس سليم، فلا يجب أن نتوقع منها الكثير، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور أيمن على هذه الإجابة، الحقيقة قد يستغرب البعض ربط الأساتذة بالاهتمام باللغة العربية بالمخطوطات، أنا أتصور أن تغييب اللغة العربية، وعدم ربط ناشئتنا وشبابنا باللغة العربية أحد العوائق الكبيرة جدًا لخدمة هذا التراث، وإقناع شبابنا بهذا التراث العربي، ولعل مثالاً في تغييب لغتنا عند أبنائنا، أنا أذكر في إحدى الجامعات – بغض النظر عن اسم الجامعة – أن أستاذًا في النحو وضع آية كريمة، قوله تعالى

(إن لدينا أنكالاً وجحيمًا) ووضع خطًا تحت كلمة أنكالاً – ويمكن هذه من النقاط التي سيتحدث عنها الدكتور عبدالستار الحلوجي في كتابه أوراق جامعية – قال الدكتور أعرب ما تحته خط ، فالطالب كنت أنا أمر عليه في القاعة ، قال "أن" أداة نصب "كالاً" اسم إن منصوب ، طبعًا الكلمة أصلاً مترابطة مع بعضها فلا داعي أن تقسم الكلمة ، فهذا يدل على أن إضافة أن الجميع ممن درس بالذات في المراحل الجامعية يجد لعلي أسميها إما تكريه طلابنا لهذه اللغة التي تعد من أكثر اللغات إتقانًا وأهمية لناشئتنا ، أترك المجال لمداخلها للمرة الثالثة للأخوات ، لدينا مداخلة للأستاذ صالح الحجي فليتفضل مشكورًا.

الأستاذ صالح الحجي :

السلام عليكم جميعًا وأسعد الله مساءكم ، وشكرًا جزيلاً لمتحدثينا ومستمعينا في آن واحد ، كانت مداخلتي حول بعض النقاط التي تفضل بها أساتذتنا بل شيوخنا الثلاثة بل كانت مركزة حول حديث الدكتور عبدالستار الحلوجي والدكتور أيمن فؤاد سيد ، وإنما التعليق كان حول موضوع ألحق أخيرًا حول التنسيق بين الجهات فرأيت الدكتور أيمن - جزاه الله خيرًا- قد أوجز لنا الجوانب الإيجابية في الجهود التي بذلت وألتمس له العذر بأن الوقت ليس متسعًا ليذكر الجوانب السلبية ، ولكنه جر إلى ذلك عندما سؤل عن التنسيق ، وأرى أن الموضوع يحتاج إلى وقت طويل للحديث عن الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية ، وفقدان التنسيق بين الجهات العلمية والجهات المعنية بالتراث المخطوط بشكل عام ، وما يحز بالنفس فإن الجهود التي كانت قبل عقدين من الزمان ربما تكون أفضل من الجهود الحاضرة فيما يتعلق باحتضان التراث ، بدليل أن بعض الجامعات كانت تحتضن أقسامًا لتدريس المخطوطات ، وكانت هناك جهود أخرى حتى في تحقيق المخطوطات ، واشتهرت لدينا بعض الجامعات في المملكة وغيرها في استقطاب الدراسات العليا في تحقيق الكتب ، الآن بدأ هذا الجهد ينحسر قليلاً حتى نرى الجهود بدأت تضمحل إلى حد كبير مع الأسف الشديد ، وأرجو أن يقيض الله للمخطوطات من يزيد الاهتمام بها ، ولا أنسى أن أشكر الدكتور أيمن فؤاد سيد فقد عرفته كثيراً من خلال كتبه ، واستفدت منه خلال أربعة وثلاثين عامًا قضيتها في خدمة المخطوطات بل تزيد شهرًا وأربعة عشر يومًا ، أما حديثي مع الدكتور عبدالستار الحلوجي فهو سيظل أستاذي ، وإن شخت فسيظل شابًا يافعًا في مجال المخطوطات ، ولكنني لا أنكر أبدًا أنه من الأشخاص الذين حببوني في العمل في مجال المخطوطات منذ عينت في مكتبة الجامعة أمينًا لقسم المخطوطات في عام ١٣٩٣هـ ، وكان وقتذاك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سعدت كثيرًا بصحبته في لقاءات عدة ، ولكنني لا أكتمكم سرًا أنه كان يبوح لي بعشقه الكبير للمخطوطات فتأسيت به وأحسست بعشقه ، وحاولت أن أجيب على من يقول :

يا سائلي هل كنت يومًا عاشـــقا

خذ ما أرى فيــه جـوابًا رائقــــــا

إن كان في عشق الجماد غضاضة

فالعذر في عشـــق جمــادًا ناطقـــا

العلـــم والفـــن والإبداع مشـــــــاعل

صـــارت بها جـــرز العقـــول حدائـــق

هذا هو المخطوط وإن بخلت بوصفه

أفلا أكـــــــون لمثل هـذا عاشـــــقا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،

رئيس الجلسة:

الأستاذ صالح هو رئيس قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، هذا على سبيل التوضيح، لعلي أشير إلى سؤال للدكتور فيصل الحفيان، كيف يمكن إقناع المكتبات ومراكز المعلومات حين رغبتها في الاستفادة من التقنية بتوضيح العوائق وبالاستعدادات التي يجب عليها أن تأخذ بها حين الرغبة في الاتجاه إلى التقنية.

الدكتور فيصل الحفيان:

أنا لا أظن أن المكتبات بحاجة إلى من يقنعها بموضوع التكنولوجيا، فكلها مقتنعة بهذا الأمر، وأبعد من ذلك نريد الدخول في عالم التراث بتكنولوجيا أكثر تخصصًا، ما لم أقله في المحاضرة أو في الكلام الذي قلته، أننا الآن فرحون جدًا بقواعد البيانات الخاصة بالمخطوطات، بكتب التراث المطبوعة، هذه العناوين الكبيرة في مجال المخطوطات، لكن هناك عناوين صغيرة ليست أقل خطرًا، منها مثلاً أننا نريد قواعد بيانات خاصة بالنساخ، نريد قواعد بيانات بالملاك وبالمتملكين بالواقفين، نريد أيضًا قواعد بيانات تصنف لنا المخطوطات حسب القرون، حسب الخطوط، حسب نوع الورق، هناك اعتبارات وأسس كثيرة يمكن من خلالها أن نوظف التكنولوجيا في خدمة التراث، ما زالت هذه الآفاق بعيدة عنا، أستسمح السيد رئيس الجلسة لأشير إلى نقطة أخرى أيضًا مهمة، وهي أن معهد المخطوطات العربية اهتم كثيرًا بالتراث العلمي، وخاصة في العقدين الأخيرين، في العقدين الأخيرين معهد المخطوطات اهتم بالتراث العلمي على مستويات عدة، عقد ندوة خاصة عن التراث العلمي العربي، التراث العلمي Science للبحث في إشكالات نشر هذا التراث، وفي مناهج تحقيق هذا التراث، وأثرنا سؤالاً مهمًا، هل لهذا التراث مناهج خاصة به، هل له خصوصية تقتضي أن نضع له مناهج خاصة، على صعيد آخر نشرنا عددًا من الكتب في العقد الأخير منها: آخر كتاب فيها هو: كتاب مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، المتوفى ٣٢٢هـ، هذا الكتاب ربما يكون الكتاب الوحيد في تاريخ الإنسانية أو في التراث الإنساني الذي يربط بين مصالح الأبدان ومصالح الأنفس، أي يدخل تحت ما يسمى اليوم الطب "النفجسمي" وهو أول كتاب يتحدث عن الطب الوقائي، ينقل الطب النفسي من كونه إطارًا فلسفيًا أو نظريًا كما تناوله الفلاسفة إلى كونه طبًا سريريًا يمكن أن يعالج، هذا الكتاب نشرناه مع

منظمة الصحة العالمية، والمكتب الإقليمي لشرق المتوسط في القاهرة، قبله نشرنا في إطار ما سميناه الجائزة العربية في تحقيق التراث، نشرنا مجموعة من كتب التراث العلمي منها: كتاب مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، وهو كتاب في التلوث البيئي من القرن الرابع الهجري، صاحبه يسمى محمد بن أحمد التميمي، من القرن الرابع الهجري أيضًا، نشرنا أيضًا كتابًا في الهندسة، أو في هندسة المياه الجوفية، وحصل على الجائزة العربية في تحقيق التراث، وكان عنوانه: إنباض المياه الخفية، أي استخراج المياه الجوفية، وهو من القرن الثالث الهجري، لرجل يسمى أبا الحسن الكرجي، أو الكرخي، إذن نحن ملتفتون إلى التراث العلمي، لكن هذا التراث ما يزال كما قلت هو من ضمن العلوم أو المساحات المعرفية التي انشغلنا عنها كثيرًا بالآداب وباللغة وبالتاريخ وبأمور أخرى، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

المداخلة الآن للدكتور عابد مشوخي، فليتفضل:

الدكتور عابد مشوخي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فأشكر أساتذتي وشيخي الفاضل الدكتور عبدالستار الحلوجي، والدكتور أيمن والدكتور فيصل وجميع الحضور.

لا شك أن المخطوطات العربية الإسلامية غطت مناطق العالم كافة فهي موجودة سواءً لدى المراكز العلمية أو المؤسسات الحكومية، أو أنها في حوزة كثير من الأفراد، فهذا التراث الحقيقة اليوم يتعرض للموت البطيء، إما بوساطة بعض المفهرسين الذين ينسبون المخطوطات لغير عناوينها الأصلية، أو كذلك بالنسبة للحشرات والأرضة، والعوامل الطبيعية المختلفة التي تؤدي إلى القضاء على كثير من المخطوطات عبر الأيام والشهور والسنين، فالمخطوطات بحاجة حقيقة إلى إنقاذ، وإلا سيأتي يوم تضمحل فيه المخطوطات، فلذلك أنا الحقيقة أشير إلى بعض الأمور التي يجب أن نهتم بها، إننا نجد أن كثيرًا من العاملين في مجال المخطوطات غير مؤهلين بالقيام بهذا العمل، فلذلك نطلب من الجامعات إعداد كوادر مؤهلة لممارسة هذه العملية الدقيقة سواءً في مجال الفهرسة أو في مجال التحقيق.

الشيء الآخر أن أغلب المراكز العلمية في بعض الجامعات للأسف الشديد لا توجد بها معامل لمعالجة المخططات، همّها أن تقتني المخطوطات، ثم تقول لدي كذا ألف مخطوطة، في حين أن المخطوطات للأسف الشديد تنقص وتضمحل بسبب الموت البطيء، الشيء الآخر لابد من تعيين المسؤولين عن المخططات من رؤساء أقسام أن يكونوا فعلاً من المحبين ويعشقون المخطوطات، وإذا هذا الشيء لم يتوافر في المسؤول عن المخطوطات فلا شك أن هذا من العوامل التي تؤدي إلى ضياع المخطوطات، الشيء الآخر لابد أن نعمل أو نسعى لجمع المخطوطات سواء كانت المخطوطات الأصلية أو محاولة الحصول على صور من المخطوطات، لأن كثيرًا من الباحثين يعانون ويواجهون صعوبات شديدة جدًا للحصول على صورة من مخطوطة معينة،

فالتنسيق مهم جدًا، سواء على مستوى جمع المخطوطات، أو على قضية الفهرسة، على سبيل المثال: في مدينة الرياض المخطوطات موجودة في جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ودارة الملك عبدالعزيز، لكل واحد من هذه المؤسسات منهج يختلف عن الآخر سواءً في حجم المعلومات المعطاة عن المخطوطات، أو في ترتيب الحقول من حيث التقديم والتأخير، أو حتى في صياغة الحقل الواحد، مثلاً عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، ١٥٠٥م، بعض الفهارس تشير عند القيام بالفهرسة وكتابة هذا الحقل الخاص بالمؤلف، يكتب فيه السيوطي، وبعض الجهات أبو الفضل، وبعضها جلال الدين، وبعضها الآخر عبدالرحمن بن أبي بكر، وبعضها تذكر تاريخ الوفاة بالهجري فقط، وبعضها بالهجري والميلادي وهكذا، هذا على مستوى المدينة الواحدة فما بالك على مستوى جميع المدن، فلابد حتى ننقذ هذا التراث، حتى نستطيع أن نقدم خدمة أفضل لهذا التراث، لابد من قيام تنسيق وتوحيد، سواءً في مجال الفهرسة، الاهتمام بالكادر بالعاملين الذين يعملون في مجال الفهرسة، قيام هذه المراكز بإيجاد وتوفير أجهزة الصيانة التي تحافظ على هذه المخططات، من الحشرات ومن العوامل الطبيعية الأخرى، كذلك الأمر بالنسبة لقضية الشراء أو توفير صور المخطوطات من المراكز العلمية الموجودة خارج العالم العربي، أو حتى في داخل العالم العربي وشكرًا، لا أريد أن أطيل.

رئيس الجلسة:

شكرًا للدكتور عابد على هذا الطرح الجيد، الحقيقة لا نريد أن نعطي صورة قاتمة وسوداء عن المخطوطات أو التراث، والمشكلات التي تدور حولها، وإلا تعرضنا للسؤال الذي طرحه الأستاذ سعد بن حمد العليان، من مؤسسة النقد العربي السعودي، شبهة قوية وكبيرة جدًا لعل الدكتور عبدالستار يجيب عليها، من المخطوطات العربية التي أخرجت من العالم العربي والإسلامي سرًا أو شراءً ونحو ذلك كان خيرًا لها من بقائها في موطنها أو مكانها لأنه لا يعرف قدرها، ولذلك فإن الخدمة التي قدمت لتلك المخطوطات حتى ولو كان لدى الآخر خدمة لا يمكن التقليل من شأنها حتى ولو يعرف الآخر قيمة ذلك التراث، أترك التعليق لأستاذنا الدكتور عبدالستار.

الدكتور عبدالستار الحلوجي:

الحقيقة أنا أتفق تمامًا مع هذا الكلام، لأن المخطوطات التي أخذوها، أولاً هم لم يأخذوها وهم لا يدركون قيمتها، هم يعرفون ماذا أخذوا، إذن هم مدركون لقيمتها، أخذوها وحافظوا عليها من يقرأن في كتاب الدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" – يرحمها الله – لها كتاب اسمه: تراثنا بين ماض وحاضر، تقول: إن الكتب كانوا يعملونها وقودًا للأفران في الأرياف والفلاحين، ورق ليس له قيمه، وورق قديم، يوقدونه، هم أخذوا مخطوطاتنا صحيح، وهي ملكنا، فكيفما أخذوها سواء عنوة أو سرقة، ولكن بالتأكيد

حافظوا عليها وفهرسوها وعن طريق فهارسهم نحن نعرف أنها لديهم، نحن حتى الآن لا نعرف ما هي المخطوطات التي لدينا، وهذه هي المأساة، لا توجد دولة عربية واحدة تستطيع أن تقول: إنها تعلم المخطوطات التي عندها، أكثر من هذا الدكتور أيمن أشار إلى دار الكتب وهي أقدم مكتبة وطنية موجودة في الوطن العربي، وهي دار الكتب المصرية، لا يوجد مسؤول في مصر يستطيع أن يحدد بالضبط كم مخطوط موجود في دار الكتب، حتى الآن مشاريع فهرسة تنتهي وتبدأ مشاريع أخرى، الذي أريد أن أقوله: إذا كانت المكتبة الواحدة لا تستطيع أن تعرف ما عندها فما بالنا بالدولة أو مجموعة الدول، مخطوطات اليمن، مخطوطات بكميات هائلة، خصوصًا في فكر الزيدية وفي تاريخ اليمن، أهم المصادر لدينا موجودة في اليمن، هل لها فهارس؟ هل نحن مكتباتنا نفهرسها؟ حقيقة، هذا الكلام صحيح، هل نحن سنحصل عليها، لا نملك ذلك، ولكن كل الذي نملكه أن نأخذ صورًا مصورة منها، نعمل تنسيق تعاون، فهارس موحدة، قاعدة بيانات، متبادلة ندخل على قواعدهم ويدخلون على قواعدنا، بهذا الشكل، لكن لا شك أن هذا الكلام صحيح، وكنا نتمنى العكس، نتمنى أن نحافظ على مخطوطاتنا أكثر، المخطوطات التي تسرق من المكتبات من أوروبا أو من المؤسسات العربية؟ من المؤسسات العربية، لا تسرق من مكتبة أوروبية أبدًا، لا يأتيك مخطوط من مكتبة أوروبية مطلقًا، ضعف النفوس، الظروف الاقتصادية، الجهل أحيانًا، أشياء كثيرة، الحقيقة هؤلاء الناس لم يكونوا كلهم شرًا، ولم يكونوا كلهم خيرًا أيضًا، الذين أخذوا المخطوطات عملوا أشياء جيدة جدًا، وعملوا أشياء سيئة جدًا، والذين يمدحونهم ويمشون وراءهم مخطئون، والذين يقفون ضدهم على طول الخط أيضًا مخطئون، فنحن نقول: إن هذه المخططات هم حافظوا عليها، وعرفناها عن طريقهم، هل هناك أحد عمل ما عمله بروكلمان وسيرجين، في الوطن العربي كله؟ وكثير منها يحمل اسم جامعات إسلامية، رغم كثرة المؤسسات الإسلامية، ورغم كثرة الإمكانات الموجودة في الوطن العربي، ورغم كثرة العلماء وهم موجودون، وهم بكثرة في كل الدول العربية، لم يفعلوا مثل ما فعل بروكلمان، عندما تتحدثون عن اللغة، هناك مادة تسمى نصوصًا متخصصة باللغة العربية، طالب في الصف الرابع بقسم المكتبات في جامعة عربية ودرس ما درس طبعًا، ومن المفروض أن يكون درس، وتعلم المعاجم، واستخدام المعاجم من المرحلة المتوسطة، أو درسها في قسم المكتبات، أنا أجد صعوبة بالغة في أن أفهم الطلاب مقدمة القاموس المحيط، أصعب نص أدرسه لهم مقدمة القاموس المحيط، نص عربي وليس بقديم جدًا، بل من القرن التاسع الهجري، ومرجع عرفوه ويستخدمونه، نجد صعوبة في تفهيمه الطلاب، إلى هذا الحد، الغربة، نحن غرباء عن تراثنا، فالحقيقة هذا الكلام صحيح، وكنا نتمنى ألا يكون صحيحًا، إنما بكل أسف لا ينبغي أن نخدع أنفسنا، غير أن نقول الحقيقة، لأن أول وسيلة للعلاج أن تعرف المرض، تحدده مسبقًا، التشخيص ثم العلاج، فإذا استطعنا أن نشخص الأمراض فسنعالجها، أما إذا فعلنا غير ذلك فلا فائدة، وشكرًا.

الدكتور أيمن فؤاد السيد :

الحقيقة القضية ليست خاصة بالمخطوطات فقط ، هي خاصة بما يطلق عليه الممتلكات الثقافية عمومًا بمعنى أن التحف المنقولة ، والآثار ، والنقود ، والدميات ، والبرديات ، وكل ما له علاقة بالممتلكات الثقافية الموجودة في المتاحف الأوروبية ، معروض عرضًا جيدًا ، متاح للناس على كتلوجات علمية ، دراسات عن كل قطعة ، الشيء نفسه الخاص بالمخطوطات ، فالقضية خاصة بمجموع الممتلكات الثقافية التي خرجت من بلدان الشرق الأوسط عمومًا ، حتى من الشرق الأقصى ، وانتقلت إلى المكتبات والمتاحف الأوروبية ، ولذلك في اتفاقية اليونسكو لاسترداد الممتلكات الثقافية التي صدرت عام ١٩٧٢م ، تنص على استعادة الممتلكات الثقافية ، هي التي خرجت ومسجلة بالفعل في فهارس وفي كتالوجات رسمية ، ولكن بشرط أن تكون خرجت بعد عام ١٩٧٢م ، وهناك توصيف لها وشرح وتسجيل في المكان المحفوظة فيه ، وإلا لا يمكن استعادتها ، كل الآثار المصرية والعراقية وغيرها الموجودة في متاحف أوروبا لا يمكن استعادتها ؛ لأنها جميعًا خرجت في القرون الثلاثة الأخيرة ، لكن في حالة ما أخرج من العراق في الحرب الأخيرة ، لا يمكن أن يطرح في مزاد علني أو في قاعة مزادات ؛ لأن كله مسجل ومعروف وعليه دراسات سابقة ، ومعروف مصدره ، فمن الصعب أن يضم إلى مجموعات جديدة ، وشكرًا.

الأستاذ إبراهيم الجميعة :

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، الحقيقة أشكر الأساتذة الذين أثرونا بما سمعنا ، وكذلك التعليقات من الإخوان ، وسوف أعطيكم نظرة سريعة على طريقة الحفاظ على التراث المخطوط ، وهذا صدر عن مجلس الوزراء بمراسيم ملكية عام ١٤٢٢هـ ، ويقضي بتصوير جميع المخطوطات الأصلية في المملكة العربية السعودية ، وكلفت مكتبة الملك فهد للقيام بهذه المهمة ، وكذلك من ضمن نظام الترميم وكذلك التعقيم ، شرعت المكتبة منذ صدر النظام بمسح المخطوطات الأصلية التي بالجهات الحكومية وجدنا أنها تتجاوز المئة ألف مخطوطة ، وقد سعينا بكل طاقتنا لكي نطبق النظام بأسرع وقت ، وقد انتهينا قبل فترة من مخطوطات جامعة الملك سعود ، وشرعنا في مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ولدينا مراسلات مع الجهات الرسمية ، والحقيقة ما وجد في الجهات الرسمية يعد محافظًا عليه بقدر الإمكان ، لكن نجد ما هو موجود لدى الأفراد ، يصعب الحصول على إحصاء له كما ذكر الدكتور ، فلا توجد دولة تستطيع أن تحصر ما هو موجود لديها ، ولكن سنقوم - بإذن الله- بحملة واسعة لترشيد الناس ، وإعطائهم معلومات عن المخطوطات ، وكيفية المحافظة عليها ، وتصويرها ، وهذه النقطة قد تريح الدكتور عابد ، وهي إمكانية المملكة في الحفاظ على مخطوطاتها ووضع فهرس موحد لها بالتنسيق مع بعض الدول العربية في هذا المجال ، وشكرًا.

رئيس الجلسة : شكرًا

الدكتور عز الدين موسى :

بسم الله الرحمن الرحيم، وليكن التعليق تلغرافيًا، النقطة الأولى لحظت غياب الاهتمام بالمخطوطات العربية في غرب أفريقيا، وبالذات في نيجيريا، أقول: إن بالنسبة لهذه المنطقة ينبغي الاهتمام بها كثيرًا، لأن فيها إنتاجًا علميًا واسعًا خاصة في القرن التاسع عشر، الاهتمام بهذه المنطقة، اهتم الناس بمنطقة نهر النيجر؛ لأنها فرنسية مع شمال أفريقيا، لكن هذه المنطقة الإنجليزية أهملت إهمالاً تاماً إلى حد كبير في ظني، سبقني الأخ عابد بالاهتمام بالذين يقومون بهذا العمل، فلماذا لا يكون هناك بكالوريوسات أو دبلومات في تدريس حفظ المخطوطات والآليات والأدوات، هذه قضية ينبغي أن نهتم بها قليلاً، القضية الثالثة التي أمشي بها سريعًا، هي موضوع التراث العلمي التطبيقي، هذه شدتني كثيرًا في أحيان كثيرة، ويبدو لي أن فيها إشكالية كبرى، هي غياب العمل الجماعي عندنا في العالم العربي والعالم الإسلامي والمخطوطات في هذا المجال تحتاج إلى نوع من العمل الجماعي، فكيف يمكنكم في هذه المراكز البحثية أن تنشئوا لهذه المخطوطات العمل الجماعي، وهو مفقود ليس في المخطوطات فقط، وإنما في كل شيء، أنا لدي تجربة في جامعة الملك سعود، في قسم التاريخ، حاولنا مرتين أن نعمل تحقيق لعمل جماعي واحد مسالك الأبصار لابن الجوهري، قبل عشرين سنة، وفشلنا أن نعمل ولا جزءًا واحدًا، وكذلك عقد الرباط للعجمي محاولة أخرى كانت، أخيرًا أختم بقضية الفهرس الشامل، وأنا مع إثارة الأخ عابد، ضرورة التنسيق، إذا ما سعينا إلى عمل فهرس شامل سنفشل فشلاً ذريعًا، فيجب أن نركز على أنه في كل قطر أن يكون هناك فهرس، ويكون هناك تنسيق بين الأقطار، وشكرًا جزيلاً.

رئيس الجلسة :

شكرًا، هناك سؤال للدكتور أيمن، هل هناك أي محاولات لتطويع صيغة Mark 21 لإعداد نموذج لفهرسة التراث واستخدامه في بناء قواعد بيانات المخطوطات وللمساعد في تبادل وتوحيد بيانات المخطوطات.

الدكتور أيمن فؤاد السيد :

الحقيقة، المشكلة أن كثيرًا من المكتبات تعمل قواعد البيانات لها بصيغ مختلفة، ولا تعتمد صيغة مارك في الفهرسة، لكن تستعمل صيغًا أخرى، وهذه القضية التي واجهتنا في المؤتمر الذي دعا إليه اليونسكو الذي أشرت إليه قبل قليل، حيث إن المكتبات الأوروبية في حوض المتوسط التي كانت مدعوة للمشاركة مع مكتبات جنوب البحر المتوسط، هم لديهم جميعًا نظام موحد على طريقة مارك، ويستطيعون أن يعملوا تداخلاً بين القواعد الموجودة عندهم، واكتشفنا أن المغرب والجزائر ومصر، كل دولة تعمل نظامًا خاصًا بها، وكانت الدعوة إلى توحيد هذا، وإدخال نظام مارك في العمل، والاستفادة من الحقول والتعديلات التي أدخلها الفرنسيون والأسبان والإيطاليون الذين حضروا هذا الاجتماع؛ لتوحيد الاستفادة من النظام، ولكن هذا يتطلب متابعة وعقد اجتماعات أخرى، وإعادة صياغة بناء القواعد على النظام الجديد، لأنه

ستظل القاعدة محلية إذا لم تطور واستخدمت النظام المستخدم عالميًا في المكتبات بحيث تصبح شبكة واحدة نتعامل جميعًا معها، وهذا لا يمكن أن يتم إلى بدعوة من منظمة إقليمية أو منظمة دولية تدعو إلى تنسيق الجهود مع المكتبات بعضها مع بعض، والتزام بنمط واحد أو صيغة واحدة لإدخال البيانات عليها، بحيث أنها في النهاية تؤدي إلى عمل الفهرس الشامل الذي نتكلم عنه.

جاءني سؤال من الدكتور فراج عطا سالم، يتكلم فيه عن استخدام دار الكتب في مصر لمؤسسة الأهرام في تصوير المخطوطات وتقديمها للباحثين بمعنى أن دار الكتب، نظام المخطوطات الموجود لديها مصور أساسًا على ميكروفيلم، ثم حدث نوع من الاتفاق أو التعاقد بين دار الكتب ومؤسسة الأهرام على أساس أن تقوم مؤسسة الأهرام بتقديم CD لمقتنيات دار الكتب للباحثين، طبعًا أن هذا العمل سحب من دار الكتب جزءًا كبيرًا من صلاحياتها، على أساس الجهاز الذي يحول مقتنياتها إلى الباحثين يمكن أن تتولاه هي بنفسها، والذي حدث أن هناك قصورًا كبيرًا لأنه ينقل من الميكروفيلم إلى CD والميكروفيلم أحيانًا تكون حالة في غاية الرداءة، و CD يجب أن آخذه ملونًا، ففي هذه الحالة آخذه أبيض وأسود وبحالته غير المعالجة المحفوظ بها، علمًا بأن أي CD يمكن أن تطلبه من أي مكتبة في العالم يأتي مصورًا بالألوان، ومصورًا تصويرًا جديدًا، ويمكن الاحتفاظ بالـ CD للاستنساخ منه، وأنا أظن يا دكتور فراج أن هذا النظام سحب من دار الكتب جزءًا مهمًا من هيمنتها على رصيدها المخطوط.

رئيس الجلسة:

هناك مداخلة عند الأخوات:

الدكتورة سعاد المانع، من جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية:

السلام عليكم ورحمة الله، هنا في هذه الندوة، أريد أن أسأل حول ما أثير حول العمل الجماعي بالنسبة للمخطوطات أعتقد أنه في غاية الأهمية فنحن ننظر للطلاب أو الطالبات حينما يفكرون في موضوع معين، خاصة المخطوطات القديمة في تراثنا، حين يفكرون في تتبع موضوع معين من خلال المخطوطات لا يجدون فهرسًا واضحًا تفصيليًا يبين ما زال مخطوطًا، وما أخذه البعض وحققه، هذه نقطة، أيضًا لا يجدون، وفي تصوري أنهم بحاجة إلى من يعمل بيانًا تفصيلاً حول المخطوطات حسب المطبوعات، قدر الإمكان، أنا أدرك صعوبة هذا، ولكن بالنسبة للعمل الجماعي ألا يمكن أن يكون تحت غطاء المنظمة العربية للثقافة التابعة للجامعة العربية، أن تقوم بعمل موحد حتى لا تتشتت الجهود، في تصوري أن هذا الاقتراح قد يقدم لنا نحن الباحثين شيئًا ليس قليلاً، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتورة على هذه المداخلة.

الدكتور أيمن فؤاد السيد:

الحقيقة أن معرفة ما هو منشور وما هو غير منشور ، هذه قضية ، كان هناك جهد مبذول في نشر دراسات عن ما نشر من المخطوطات العربية ، ربما أولاً كان لدينا كتاب سركيس القديم ، وهو من المطبوعات العربية ، ولكن الجهود التي بعد ذلك تركزت على المخطوطات المنشورة ، بدأت مع صلاح الدين المنجد مع معجم المخطوطات المطبوعة ، وهذا كتاب صدر في خمسة مجلدات أولها صدر في عام ١٩٥٥م ، وآخرها في عام ١٩٨٠م ، ثم معهد المخطوطات العربية ، الحقيقة في فترة وجوده في الكويت كلف الدكتور محمد عيسى صالحية بأن يقوم بإعداد معجم للتراث العربي المطبوع ، وصدر منه بالفعل أربعة مجلدات بعنوان : الفهرس الشامل للتراث العربي المطبوع ، والمفروض في خمسة مجلدات سقط منها الجزء الرابع أثناء الغزو العراقي للكويت في سنة ١٩٩٠م ، لكن نشر منه الأول والثاني والثالث والخامس ، وينقص الرابع ، أيضًا لدينا جهود أخرى قام بها في البداية الأب جورج شحاته قنواتي عندما نشر في مجلة فرنسية ، سلسلة من التراث والنصوص العربية القديمة المنشورة في مصر ، ثم بعد وفاته عام ١٩٩٥ استكملها راهب دومينكاني آخر اسمه برجليو ، وتستمر تصدر إلى الآن ، عرض النصوص العربية القديمة التي تنشر في مصر ، أيضًا بعض المخطوطات ، والدكتور فيصل يؤيدني في ذلك يقوم بعمل في النشر التي يصدرها المعهد أخبار عن المهتمين بتحقيق المخطوطات ودراستها أو أحيانًا ما يصل إليه من نصوص منشورة ، وهذا جهد المقل ، باعتبار أن عن طريقه على الأقل نستطيع أن نعرف ماذا صدر من كتب التراث المنشورة ، لكن بالطبع جهد يحتاج إلى استكمال ، كتاب عيسى صالحية ، يحتاج إلى كل خمس سنوات أن تكون هناك إضافة تتضمن كل ما استجد خلال هذه الفترة للمؤلفين أنفسهم للخمس سنوات السابقة ، وشكرًا.

رئيس الجلسة :

الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري ، أستاذ أخبار الجزيرة العربية وتاريخها ، فليتفضل :

الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، الحقيقة أنني سعيد أن أحضر هذه الليلة ، وأستمع إلى هذه النخبة الطيبة من المختصين في المخطوطات ومن نعرفهم معرفة جيدة ، وخصوصًا الأستاذ الدكتور أيمن السيد ، حضرتم تتحدثون وتتألمون عن المخطوطات وما حدث لها وما سيحدث لها ، وأرجو الله ألا يحدث ما يؤلم ، ولكن لم أستمع إلى معالجة لهذا الفتور في الاهتمام بالمخطوطات العربية ، إلا ما أشار إليه الدكتور الحلوجي من الاهتمام باللغة العربية ، ومن وضع نصوص في مرحلة الابتدائية للطلاب ؛ لكي يستوعبوها ، وأنا أستغرب أننا نسينا الفضائيات التي تنزل علينا بغثها وسمينها في كل يوم وليلة وفي كل ساعة ، والكمبيوتر والإنترنت والمشكلات التي أصابتنا في عقر دارنا ، هناك شاهد آخر في جامعاتنا العربية ، أنا أحزن على الطالب الذي يمضي سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات في تحقيق مخطوط ، أحزن عليه لأن المشرف على هذا المخطوط غير مختص أساسًا في تحقيق المخطوطات ، ولذلك تخرج الكثير من

المخطوطات، ثم بعد ذلك توضع في الصناديق دون الاستفادة منها؛ لأنها لا تصلح أن تنشر، وهذه مأساة، ونصرف عليها الكثير من الأموال، ويأخذ الطالب عليها درجة الماجستير أو الدكتوراه، ويصبح دكتورًا ويدرس في جامعاتنا، وهو لم يستفد منهجًا ولا تحقيقًا، هذه إحدى المآسي، الشيء الآخر بالنسبة لجامعاتنا، وكافحت عندما كنت في مجلس جامعة الملك سعود بأن يوضع منهج اسمه تاريخ العلوم، يوضع لكل قسم ولكل كلية مثل الطب، كثير من أطبائنا لا يعرفون تاريخ العلوم الطبية في العالم الإسلامي، الحضارة الإسلامية، ولا المهندسون يعرفون، ولا زملاؤنا في قسم اللغة العربية، يعرفون تاريخ العلوم، وكيف تطور التاريخ، هذه إحدى المآسي، ولو استطعنا أن نقنع المسؤولين في الجامعة أن توضع في كل كلية وفي كل قسم تاريخ العلم الذي يدرسه، وكيف تطور، وكيف أن العصور اليونانية والرومانية والقديمة حتى الآن كيف أصبح، لوصلنا إلى مرحلة مهمة جدًا، لو استطعنا أن نحقق هذا، أنا في رأيي أن نلغي أقسام المكتبات، وأن تصبح المكتبات دراسات عليا في هذه الحالة يأتي إليها الطبيب، ويأتي إليها المهندس، ويأتي إليها اللغة العربية، والتاريخ، والجغرافيا، وغيرها، لأن المخطوطة ليست هي مخطوطة اللغة العربية وليست هي مخطوطة التاريخ، والمهندس والرياضي .... وإلخ.

أعتقد أننا يجب أن نعيد النظر في كل تشكيلاتنا الثقافية، التشكيل الثقافي للمنطقة العربية، نحن في مرحلة خطر عندما أشار الأستاذ الدكتور أيمن السيد إلى ما حدث في العراق، لم يهتم به العرب كما اهتم به الغربيون، الغربيون جاءتني كثير من النداءات لكي أضم صوتي إلى من يحاولون أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه من تراث العراق، ولكن لم أجد مثل هذا النداء في أي من البلاد العربية، أو في أي منطقة عربية، المشكلة أن ليس هناك تجاوب وتناغم بين المؤسسات العربية الموجودة سواءً كانت دار الكتب المصرية، أو كانت الإسيسكو أو غيرها وبين الجامعات، هناك قطيعة، مجمع اللغة العربية يخرج قواميس، ويخرج، ويخرج، لكن ليس لها أي تأثير على ثقافتنا ولا على صحافتنا، ولا على أي شيء، إذن هناك مشكلة، هناك انقطاع، يفصل بين قوم يعملون في صمت، وقوم يعملون في جهل، ولا هذا يستمع إلى ذلك، ولا ذاك يستمع إلى هذا، هذه هي المشكلة التي يجب أن ننظر فيها، لنرى حلولاً يمكن أن نصل بها إلى طريقة نجمع بها بين فريق وآخر، الحقيقة أنني آسى وأتمنى أن تتوقف الجامعات عن تحقيق المخطوطات، لأنه جهد مبذول لا أثر له، ولا قيمة له من وجهة نظري، لأن المشرفين ليسوا مختصين أساسًا في هذا الفن، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور على مداخلته، الدكتور هاشم فرحات.

الدكتور هاشم فرحات:

بسم الله الرحمن الرحيم، كل الشكر لأساتذتي الأفاضل الذين تحدثوا، وأخص شيخنا، ونحن عندما نتحدث عن المخطوطات نشعر أننا لا نستطيع أن نتحدث وهو موجود، إلا أن يصحح لنا ما نقول، وشكر

آخر لمكتبة الملك عبدالعزيز، الحقيقة على هذا الموضوع وطرحه، أركز في تعليقي على موضوع علاقة التكنولوجيا أو التقنية بالمخطوطات، عندما نتأمل هذا الموضوع، الحقيقة ألحظ، أو أسجل بعض الملحوظات عليه، أولاً كثير جدًا ممن يكتبون عن المخطوطات ليس لديهم خلفية عن التقنية، وكثير جدًا جدًا ممن يكتبون في التقنيات وفي أشياء لها علاقة بالمخطوطات ليس لديهم خلفية كبيرة جدًا عن المخطوطات، وهناك فجوة كبيرة جدًا بين الطرفين، هذه ملحوظة، ما كتب عن المخطوطات أو علاقة التقنيات بالمخطوطات إذا قيس بحجم ما كتب عن المخطوطات نجد أنه لا يتجاوز ١٪، فالفجوة واضحة، هناك قضايا كثيرة جدًا يمكن أن تفعل دور التقنيات وعلاقتها بالمخطوطات، هناك قضايا كثيرة جدًا طرحها الباحثون واقترحوا حلولا لها، ولكن لم يستمع إليهم الطرف الآخر وهم المعنيون بالمخطوطات والتراث، هناك قضايا كثيرة جدًا أذكر بعض الأمثلة، في كليات الهندسة، أجيزت أكثر من رسالة دكتوراه عن قضية OCR, Scanning وخاصة OCR بالنسبة Hand writing script ليس للأعمال المطبوعة ولكن للأعمال المخطوطة، هناك جهود تمت في كيف نستثمر الكمبيوتر والتقنيات في التعرف على تاريخ المخطوطات، بل والتعرف على التزوير في المخطوطات الذي حدث، هناك جهود تمت في كيفية استثمار الإنترنت في إتاحة المخطوطات، فهناك جهود كثيرة جدًا، لا يعرفها الجميع، لأن كل واحد يعمل في استقلالية وبمعزل عن الآخر، وأرى أن الحل هو تقريب الهوة بين الطرفين، أن يعقد مؤتمر يناقش هذه القضية، المتتبع لمؤتمراتنا على مدار سنوات في العالم العربي كله، نجد أنه ما يكاد يخلو عنوان مؤتمر من كلمة تقنية، واستثمارها في مجال معين، وصلت إلى استثمارها في الموضة، ولبس النساء، وغيره، لا أجد إلى الآن مؤتمر عالج قضية التراث أو التقنية وعلاقتها بالتراث، حتى مؤتمراتنا في علم المكتبات والمعلومات التي تعقد على مدار السنة وما بينها، لم يخطط محور من محاورها عن التقنية وعلاقتها بالتراث، لقد قمت بدراسة قبل خمس سنوات، نبهت فيها إلى أهمية عقد مؤتمر تطرح فيه كل قضايا التقنيات، وكيف يمكن أن نستثمرها في خدمة التراث، والحقيقة هناك جهود مشكورة جدًا تحتاج فقط لأن نسمعهم رأينا فيها، جهود من إخوان في الحاسب الآلي في كيفية استثمار التقنيات في خدمة التراث بكل جوانبه التي طرحها الدكتور فيصل وغيره، فإني الحقيقة أهيب بالمعنيين بذلك، ولعلي أكون تجاوزت إذا قلت أن معهد المخطوطات ينبغي أن يتبنى هذه، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الحقيقة عرفنا عنها نشاطها الواضح جدًا في خدمة التراث، وخدمة قضايا المعلومات، لو أنها تبنت مؤتمرًا يتناول هذه القضايا، نسمع الذين كتبوا عن التقنيات ولها علاقة عن المخطوطات، وأتصور أنه سوف تثمر عن نتائج يكون لها مردود جيد جدًا على تراثنا وعلى مخطوطاتنا، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور هاشم على هذه المداخلة الثرية، الأخ عبدالعزيز الراجحي.

الأستاذ عبدالعزيز الراجحي:

أنا طلبت المداخلة منذ أكثر من ساعة وكان لدي أفكار كثيرة، أريد طرحها والنقاش فيها، لكن لأجل المداخلات التي تمت خلال هذه الساعة، وكذلك الأسئلة وأجوبة الأساتذة الكرام، أجيب على كثير من المحاور التي لا أحب أن أكررها، فلا فائدة في التكرار، في البداية وددت أن يكون السؤال لهذا اللقاء، هل قدمنا للمخطوطات شيئًا أم لا؟ لأن ماذا قدمنا لخدمة المخطوطات العربية؟ تكون الإجابة فيه تفصيلية، واللقاء قصير، فلا يصلح أن يكون اللقاء قصيرًا والسؤال يحتاج إلى تفصيل، فإذا كان السؤال هل قدمنا للمخطوطات شيئًا أو لا؟ تكون الإجابة إما بنعم أو لا، التفصيل بعد نعم أو لا، الإجابة بكل وضوح لا، ليس نظرتي سوداوية ولا أريد أن أجعلها نظرة بيضاء لكي أريح أصحاب الآمال العريضة التي تبنى على حقيقة، إذا نظرنا اليوم في حجم العناوين المطبوعة التراثية بغض النظر عن تكرار الطباعة، العنوان بغض النظر عن طبعاته المتعددة، ثم نظرنا إلى حجم أعداد عناوين المخطوطات لن تزد نسبة العناوين المطبوعة عن هذا التراث عن ٥٪، أكون متفائلاً لكي أرضي المتفائلين أقول ١٠٪، لكن أحجام عناوين المخططات هو كبير جدًا، هذا الحجم الذي أعطيته والكبير جدًا هو بناء على الفهارس الهزيلة الناقصة القاصرة الموجودة، لكن لو قدر أن الفهارس تامة وكبيرة وتفصيلية وشاملة للمكتبات الخاصة والمكتبات الحكومية، والمكتبات الحكومية لا يحدث فيها سرقات تقلل هذا العدد لأصبحت هذه النسبة في الحجم المطبوع أقل بكثير، هذه النسبة أيضًا قليلة لو فحصناها ونظرنا فيها ثانية عن حجم المطبوعات الموجودة اليوم، والمتاحة للباحثين والمطلعين وعن حجم المطبوعات التي نفذت وانتهت منذ سنوات طويلة، وهي في حكم المخطوطات المطبوعة منذ ٢٠٠ سنة أو ١٥٠ سنة وغير ذلك، لقل هذا العدد، ثم لو نظرنا أيضًا في النسبة المتبقية ما طبع منه على الوجه السليم ويمكن الاستفادة منه، وما لم يطبع على وجه سليم يحتاج إلى إعادة نظر فيه، لقلت هذه النسبة ربما إلى نسبة ١٪، هذه نقطة.

النقطة الأخرى، حتى نعرف أن الإجابة أيضًا لم نقدم شيئًا، هل المخطوطات التي تسرق من بلادنا العربية وتعرض على بلادنا العربية الأخرى تجد كريمًا يقيمها بعشر معشار قيمتها؟ تتخذ مكتبات الدول العربية الأخرى سواء الخليجية أو في المملكة معبرًا لدول أوروبية أخرى فتلحق هذه المخطوطات المتأخرة اليوم بسابقتها التي خرجت أيام الاستعمار منذ ٢٠٠ سنة لتجد في الدول الغربية ما لا تجده في الدول العربية، للأسف المخطوطات التي تعرض لا تقيم بقيمتها حتى إذا كان في مجال للشراء تشترى، أي مجموعات صغيرة جدًا والكثير يذهب، الموجود من المخطوطات اليوم عندنا ينقص إما بالسرقة أو بالتلف، هناك أمر وهو نظام حماية المخطوطات الصادر من مجلس الشورى في عام ١٤٢٢هـ، وأشار إليه زميلي الأستاذ إبراهيم الجميعة، لم يكن داخلاً في هذا الموضوع، ولكنه طرح، هذا كتب بنظرة تفاؤلية وخيالات وطموحات وآمال، الذين كتبوا هذا النظام يعرف أنهم لم يطلعوا على مخطوط قط، يكتبون في خيالات ذهنية يريدون أن تكون واقعًا، وفيهم من التعارض ما يمنع أصلاً تحقيقه والقيام به، يكفي من هذا أمر واحد فقط، أنه لما كلفت مكتبة الملك

فهد الوطنية بالقيام على إنفاذ هذا النظام، وفهرسة المكتبات السعودية، وإصدار فهرس موحد لهذه المكتبات، أحيل إلى مكتبة الملك فهد الوطنية وعمرها ١٥ سنة، وهي المكتبة السعودية الوحيدة التي لم تطبع حتى الساعة فهرسًا لها، فكيف مكتبة لم تستطيع أن تطبع فهرسًا لها، تكلف بطباعة فهارس للمكتبات الأخرى التي سبقتها في الفهرسة وفي الطباعة، وفي النشر، وإن كانت الجهود قاصرة وضعيفة، هذه هي الإشارات ولا أريد أن أزيد، وأشكر لكم مرة أخرى.

رئيس الجلسة:

لعلي نختم بعرض للدكتور فيصل عن آخر الجهود لمعهد المخطوطات العربية.

الدكتور فيصل الحفيان:

معهد المخطوطات العربية على الرغم من قلة إمكانياته وقدراته لكنه يعمل في حدود ما يمكنه، وفي حدود ما يستطيع أن يفعل، من أهم الأشياء التي أحب أن أشير إليها، والتي ترتبط بما قاله الأستاذ الدكتور عبدالستار، هو أن معهد المخطوطات العربية استحدث برنامجًا علميًا خاصًا لمنح درجة الدبلوم والماجستير والدكتوراه فيما سميناه علم المخطوطات وتحقيق النصوص، لنركز على هذا العمل العلمي الذي أصبح ثانويًا في جامعاتنا العربية، يعني نحن نعطي درجة الماجستير على تحقيق النص، وليس على الدراسة، وإن كانت موجودة التي هي تسبق النص، ولا على الفهارس التي تلحق به، هذا القسم الآن بالفعل أصبح قائمًا وناقشنا رسالة، ونحن على وشك مناقشة رسالة أخرى قريبًا إن شاء الله، وهذا القسم يقبل خريجي التخصصات المختلفة، لدينا طالب من الطب البيطري، وآخر مثلاً من هندسة، صحيح أن الغالبية العظمى من كليات الآداب والشريعة وأصول الدين إلخ، ولكن هناك أيضًا من تخصصات مختلفة، دبلوم وماجستير ودكتوراه، هذه نقطة مهمة.

وأنا أقول ما أشار إليه الأستاذ الدكتور عبدالستار من أن المدخل إلى الاهتمام بالتراث يكون عن طريق اللغة العربية هذا صحيح ١٠٠٪، فإذا لم نحب هذا التراث ونحن صغارًا، فلن نلتفت إليه ونحن كبارًا، لكن هناك مشكلة أخرى هو أن هناك أناس لديهم الاستعداد، ويريدون أن يتجهوا نحو التراث، ليقرؤوه ويحققوه ويستفيدوا منه، لكنهم لا يجدون الفرصة، نحن فتحنا هذه الفرصة، كما أن البداية تكون من المدارس، أيضًا البداية لا تكون في قطع الاتجاهات أو في إحباط الطلبة الذين يحبون أن يدرسوا، ولذلك نحن لدينا في المعهد عشر تخصصات مختلفة أحدثها هو قسم علم المخطوطات وتحقيق النصوص، قسم علم المخطوطات الآن هو في الترتيب الثالث من حيث العدد في هذا القسم، مما يدل على أن القسم لقي رواجًا أو لقي قبولاً من الباحثين، الأمر الآخر الذي أود أن ألفت إليه بسرعة حتى لا أطيل، هو خاص بالدكتور عز الدين موسى والذي أشار إلى المخطوطات في غرب أفريقيا وفي نيجيريا تحديدًا، الحقيقة أن للمعهد جهدًا – صحيح أنه جهد ليس كبيرًا – فقد أرسلنا فيما مضى خبيرًا إلى نيجيريا وكتب لدينا تقريرًا عن المخطوطات العربية في

نيجيريا، نود أن نكمل هذا، ولكن الظروف المادية والإمكانات لا تسمح لنا بذلك، لكن أنا أود أن ألفت أن هناك اهتمامًا كبيرًا بدأ يطفو على السطح هذا الاهتمام يتجه أيضًا إلى المخطوطات المكتوبة بالخط العربي، هذه المخطوطات الأفريقية المكتوبة بالخط العربي، أنا أعتقد أنها جزء من التراث الإسلامي، هي استخدمت الحرف العربي، استخدمت أداة اللغة العربية، لكن مضمونها هو جزء من هذا التراث وجزء من الفكر الإسلامي عبر المراحل الكبيرة، مؤخرًا كنت في مؤتمر في تونس خاص بالمخطوطات العربية، المخطوطات الأفريقية المكتوبة بالخط العربي، كما قلت في كلمتي هي أن الهم التراثي هم كبير، وإذا لم نتعاون مؤسسات وأفرادًا وننتبه إلى هذا التراث، ونضعه في حسباننا، فإن هذا التراث سيضيع ولن نجده مرة أخرى، وشكرًا.

رئيس الجلسة:

نشكر الدكتور فيصل على هذا الإيضاح، والحقيقة أختم بشكر للإخوة المشاركين، أستاذنا الدكتور عبدالستار الحلوجي، الدكتور أيمن فؤاد السيد، الدكتور فيصل الحفيان، والشكر لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة لرعايتها لهذا اللقاء، وأختم برجاء تكريرًا لكلام الدكتور هاشم فرحات، والمكتبة ليس غريبًا عليها أن تقوم بهذا الجهد، مثلاً عقد ندوة أو مؤتمر ترعاه المكتبة، وكذلك السعي للتنسيق بين المكتبات، ومراكز المعلومات على الأقل في المملكة في مجال المخطوطات، وهذا الجهد ليس غريبًا على المكتبة، وشكرًا للجميع على الحضور.